

# الدراسة النظرية

## الفصل الأول

1 – مفهوم ظاهرة الإتياع والمزاوجة:

أ – ظاهرة الإتياع قديماً وحديثاً.

ب – ظاهرة المزاوجة قديماً وحديثاً.

2 – البعد النفسي للإتياع والمزاوجة.

3 – اللغة المنطوقة والإتياع والمزاوجة.

4 – الاقتصاد اللغوي والأمثال.

## أولاً: مفهوم ظاهرة الإتياع والمزاوجة:

### أ - مفهوم ظاهرة الإتياع قديماً وحديثاً:

الإتياع ظاهرة ضاربة جذورها في أعماق التاريخ، استحوذت على اهتمام العلماء منذ القدم، فصنّفوا فيها الكتب وأفردوا لها الأبواب والفصول، وتناولتها المعاجم اللغوية المختلفة، فكان أن تعددت الآراء والأقوال في تحديد معنى الإتياع والوقوف على تعريف جامع له . وللوصول إلى هذه الغاية سنعرض لتلك الآراء المختلفة مع محاولة المقاربة والمقارنة بينها، آخذين بعين الاعتبار تسلسلها الزمني، ومن ثم نضع القول الذي ارتضيناه تعريفاً لهذه الظاهرة.

#### 1 - قديماً:

الإتياع في كتب اللغة: أ - كتب مستقلة.

ب - فصول ضمن كتب أخرى.

#### أ - كتب مستقلة:

كان أبو الطيب اللغوي الحلبي (ت 351 هـ) من أوائل الروّاد الذين ألفوا في الإتياع، يقول في كتابه: "ذلك أنّ التابع أو اللفظة الثانية إن لم يكن له معنى في نفسه أو كان له معنى المتبوع، ولم يجئ إلا ليتد ما قبله ويقويه، ثم لا يتكلم به مفرداً كان إتياعاً، وإن كان يشارك اللفظة الأولى أو المتبوع في المعنى، فأفاد في تقويتها وأمكن إفراد التابع في الكلام كان توكيداً"<sup>(1)</sup>.

وممن أفرد كتاباً للإتياع أيضاً أحمد بن فارس (ت 395 هـ) وقد وسمه بالإتياع والمزاوجة يقول فيه "الإتياع والمزاوجة كلاهما على وجهين: أحدهما أن تكون كلمتان متواليّتان على روي واحد، والوجه الآخر أن يختلف الرويان، ثم يكون بعد ذلك على وجهين أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية ذات معنى معروف والآخر: أن تكون الثانية غير واضحة المعنى، ولا بيّنة الاشتقاق، إلا أنها كالإتياع لما قبلها"<sup>(2)</sup>، نستنتج ممّا سبق اختلاف الإمامين في تحديد معنى دقيق للإتياع، فأبو الطيب اشترط عدم إفراد اللفظ في الكلام مع حمله لمعنى المتبوع أو خلوه من المعنى ليكون إتياعاً، في حين ذهب ابن فارس إلى تصنيف الإتياع بين ماله معنى واضح أو ما كان غير واضح المعنى، وهنا نلاحظ التقارب بين الاثنين في النوع الثاني فقط من أنواع الإتياع.

---

(1) كتاب الإتياع لأبي الطيب عبد الواحد علي اللغوي الحلبي، حقّقه وقَدّم له: عز الدين التتوخي، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق، 1961، ص 7.

(2) الإتياع والمزاوجة لأحمد بن فارس بن زكريا، حقّقه: محمد أديب عبد الواحد جمران، منشورات وزارة الثقافة، دمشق 1995، ص 43.

## ب - فصول ضمن كتب أخرى:

قال الكسائي (ت 189 هـ، علي بن حمزة) فيما نقل عنه السيوطي (ت 911 هـ) من كتاب غريب الحديث لأبي عبيد "إنما سُمِّي إِتِّبَاعاً لأن الكلمة الثانية إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد وليس يُتَكَلَّمُ بالثانية مفردة فلهذا قيل: إِتِّبَاعٌ"<sup>(3)</sup>. ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام (ت 224 هـ). في غريب الحديث فيما نقله عنه السيوطي (ت 911 هـ) في المزهري حيث كان يرى أن الإِتِّبَاع لا يكون بالواو<sup>(4)</sup>، بينما يكون التوكيد بالواو، ومنهم ثعلب في أماليه (ت 291 هـ) حيث أورد "قال الأعرابي سألت العرب أي شيء معنى شيطان نيطان ؟ فقالوا: شيء نَدَّ به كلامنا: نشدّه"<sup>(5)</sup>.

وكذلك عقد ابن دريد (ت 321 هـ) في جمهرته باباً سَمَّاه (باب جمهرة من الإِتِّبَاع) حيث يقول "هذا جائع نائع، والنائع: المتمائل، وعطشان نطشان في قولهم "ما به نطيش أي حركة"<sup>(6)</sup>.

ومن أولئك الذين عقدوا فصلاً في الإِتِّبَاع أبو علي القالي (ت 356 هـ) الذي جعل الإِتِّبَاع على ضربين حيث يقول: "الإِتِّبَاع على ضربين: فضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به تأكيداً؛ لأن لفظه مخالفٌ للفظ الأول، وضربٌ فيه الثاني غير معنى الأول"<sup>(7)</sup>.

ومنهم ابن فارس (ت 395 هـ) حيث يقول: "للعرب الإِتِّبَاع وهو أن تَتَّبَعَ الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إِشْبَاعاً وتأكيذاً. وروي أن بعض العرب سئل عن ذلك فقال: "هو شيء نَدَّ به كلامنا، وذلك قولهم ساغِبٌ لاغِبٌ، وهو خَبٌّ ضَبٌّ، وخرابٌ يبابٌ"<sup>(8)</sup>.

وكذلك أبو منصور الثعالبي (ت 430 هـ) الذي عقد فصلاً للإِتِّبَاع قال فيه: "هو من سنن العرب، وذلك أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها ورويها إِشْبَاعاً وتوكيداً كقولهم: جائع نائع، وساغِب لاغِب، وعطشان نطشان، وصَبَّ خَبٌّ، وخرابٌ يبابٌ، وقد شاركت العرب العجم في هذا الباب"<sup>(9)</sup>.

---

(3) المزهري في علوم اللغة وأنواعها لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي، شرحه وضبطه: محمد أحمد جاد المولى، علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، دار الفكر (د.ط و د.ت)، 415/1.

(4) المصدر نفسه، 415/1

(5) مجالس ثعلب، أبو العباس أحمد بن يحيى ثعلب، شرح وتحقيق: عبد السلام هارون دار المعارف، ط2، (د.ت)، 7/1.

(6) جمهرة اللغة لابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن الأزدي البصري، مكتبة المثنى، (د.ط و د.ت)، 429/3.

(7) الأمالي لأبي علي القالي، (إسماعيل بن القاسم)، دار الكتاب العربي، (د.ط و د.ت)، 208/2.

(8) الصاحب في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي اللغوي، حققه وضبط نصوصه: د. عمر فاروق الطباع، مكتبة المعارف، ط1، 1993، ص 263.

(9) فقه اللغة وسر العربية لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، تحقيق: سليمان سليم البواب، دار الحكمة للطباعة والنشر، (د.ط)، دمشق، 1984، ص 413.

ومنهم ابن سيدة (ت 458 هـ) حيث عقد باباً سمّاه الإتياع قال فيه "الإتياع على ضربين، فضرِب يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به تأكيداً لأن لفظه مخالف للفظ الأول وضرِب فيه الثاني غير معنى الأول فمن الإتياع قولهم: أسوان أتوان في الحزن، فأسوان من قولهم أسي الرجل أسي إذا حزن ورجل أسيان وأسوان أي حزين وأتوان من قولهم أتوته أتوة بمعنى أتيته أتية وهي لغة هذيل" (10).

وكذلك للحريري (ت 516 هـ) رأي في الإتياع حيث يقول: "ثم إن الإتياع على قسمين مالا معنى له أصلاً غير التقوية كحسن بسن، وماله معنى ظاهر كقسيم وسيم، أو غير ظاهر كشيطان نيطان، أي لاصق بالشر وهو كما قال ابن فارس إمّا معرب بإعرابه كحسن بسن، أو مركب معه كحيص بيص، فإنه إتياع كما صرح به ابن فارس وقد يكون بأكثر من لفظ وفي غير الأسماء نحو لا بارك الله فيك ولا تارك ولا دارك، وهذا يحتمل عندي أن يكون تأكيداً معنوياً ولفظياً على أنه أبدل منه حرف لدفع صورة التكرار" (11).

ومنهم أيضاً ابن الدهان (ت 569 هـ) في الغرّة حيث يقول فيما نقل عنه السيوطي (ت 911 هـ) في المزهري: "منه قسم يسمى الإتياع (أي من باب التوكيد) نحو عطشان نطشان، وهو داخل في حكم التوكيد عند الأكثر، والدليل على ذلك كونه تأكيداً للأول غير مبين معنى بنفسه عن نفسه كأكتع وأبصع من أجمع، فكما لا يُنطق بأكتع بغير أبصع فكذلك بغير أجمع، ولهذا المعنى تكررت بعض حروفها في مثل حسن بسن، كما فعل بأكتع مع أجمع" (12).

ومنهم أيضاً ابن الحاجب (ت 646 هـ) في الكافية حيث يقول في سياق حديثه عن التوكيد: "التأكيد اللفظي على ضربين: إما أن تعيد لفظ الأول بعينه، نحو جاعني زيد، جاعني جاعني زيد، أو تقويه بموازنه مع اتفاقهما في الحرف الأخير، ويسمى إتياعاً، وهو على ثلاثة أضرب لأنه إما أن يكون للثاني معنى ظاهر نحو هنيئاً مريئاً وهو سرير، أو لا يكون له معنى أصلاً بل ضم إلى الأول لتزيين الكلام لفظاً وتقويته معنى، وإن لم يكن له في حال الإفراد معنى نحو قولك: حسن بسن فسن، أو يكون له معنى متكلف غير ظاهر نحو: خبيث نبيث من نبث الشر أي استخرجته" (13).

---

(10) المخصص، ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل النحوي الأندلسي، دار الكتب العلمية (د. ط و د. ت)، 28/14.

(11) درّة الغواص في أوهم أهل الخواص، أبو محمد القاسم بن علي الحريري، مطبعة الجوائب، ط1، 1299، ص81.

(12) المزهري، السيوطي 424/1، ابن الدهان هو سعيد بن المبارك بن علي بن عبدالله ابن سعيد البغدادي.

(13) كتاب الكافية في النحو، جمال الدين أبي عمر وعثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي المالكي، شرحه الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الاسترأبادي النحوي، دار الكتب العلمية، د. ط، ود. ت، ج 1/ 333.

ومنهم تاج الدين بن عبد الوهاب بن علي السبكي (ت 771 هـ) الذي أشار في شرح المنهاج فيما نقله عنه السيوطي (ت 911 هـ) في المزهري إلى أن "بعض الناس ظنّ أنّ التابع من قبيل الترادف لشبهه به، والحق الفرق بينهما، فإنّ المترادفين يفيدان فائدة واحدة من غير تفاوت، والتابع لا يفيد وحده شيئاً، بل شرط كونه مفيداً تقدّم الأول عليه"<sup>(14)</sup>.

وهنا نلاحظ عدم الاتفاق على مفهوم واضح للإتباع عند القدماء وهذا ما أدى إلى تدخل في المصطلحات والتسميات، فنلاحظ من أدخله في باب التوكيد، بينما عدّه آخر من قبيل الترادف، ومن جهة أخرى نلاحظ التقارب في الآراء بين رأي ابن الدهان في الغرّة، ورأيي ثعلب والكسائي، في حين اقترب تاج الدين السبكي من الوجه الثاني عند أبي الطيب.

وكذلك انفرد أبو علي القالي بالضرب الثاني الذي ذكره وهو أنّ للفظ الثاني معنىً مختلفاً عن اللفظ الأول، ويتبعه في ذلك ابن سيدة.

وكذلك نلاحظ اقتراب ابن الحاجب من الحريري في تصنيفه للإتباع، ولاسيما في الضربين الأول والثاني.

## الإتباع في المعاجم اللغوية:

### أ - المعاجم اللغوية:

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 175 هـ): "التابع التالي ومنه التتبع والمتابعة والإتباع يتبعه: يتلوه، تبعه يتبعه تبعاً"<sup>(15)</sup>. وقال الأزهري (ت 370 هـ): "التابع: التالي"<sup>(16)</sup>. ويقول ابن منظور (ت 711 هـ): "والإتباع في الكلام مثل حسن بسن وقبيح شقيح"<sup>(17)</sup>. ويقول في موضع آخر: "إذا وجد للشيء معنى غير الإتباع لم يقضَ عليه بالإتباع"<sup>(18)</sup>. ويقول الفيروز آبادي (ت 817 هـ): "والإتباع في الكلام: مثل حسن بسن" ولم يزد على ذلك<sup>(19)</sup>.

(14) المزهري، السيوطي، 415/1.

(15) كتاب العين لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: د. محمد المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ط1، 1988 م، 78/2.

(16) تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، تحقيق: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة، مطابع سجل العرب، (د. ط و د. ت) 282/2.

(17) لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، دار صادر، ط1، 1992، مادة تبع، 32/8.

(18) المصدر نفسه، مادة بآل، 41/11.

(19) القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الفيروز آبادي الشيرازي الشافعي، دار الكتب العلمية، ط1، 1995، 12/3.

ويقول الزبيدي (ت 1205 هـ): "الإِتباع يقتضي أن الثاني ليس له معنى مستقل به"<sup>(20)</sup>.

## ب - المعاجم الاصطلاحية:

قال أبو البقاء الكفوي (ت 1094 هـ): "والإِتباع هو أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتوكيداً، حيث لا يكون الثاني مستعملاً بانفراده في كلامهم، وذلك يكون على وجهين: أحدهما أن يكون للثاني معنى كما في (هنيئاً مريئاً) والثاني لا يكون له معنى بل ضمُّ إلى الأوّل لتزيين الكلام لفظاً وتقويته معنىً نحو قولك (حسن بسن)"<sup>(21)</sup>.

وهنا نلاحظ كذلك تعدّد وجهات النظر في تعريف الإِتباع، وبلورة مفهوم واضح له فقد اقترب أبو البقاء الكفوي من ابن فارس في الوجه الأوّل الذي صنّفه، في حين رأينا اقتراب صاحب اللسان من ابن فارس وأبي الطيب في النوع الثاني عند الأخيرين، وجاء الزبيدي صاحب التاج ليتابع ابن منظور في اللسان، وكذلك لم يذكر الفيروز آبادي تعريفاً واضحاً للإِتباع ولم يحدّد رأيه فيه.

## 2 - حديثاً:

وفيما يتعلق بالمحدثين، نلاحظ تأثرهم بتعريف ابن فارس للإِتباع و تفريقه بين ضربين له بشكل كبير، فقد أشار ابن فارس إلى ضربٍ تكون فيه الكلمة الثانية ذات معنى معروف، وضربٍ تكون فيه الكلمة الثانية غير واضحة المعنى، ولا بيّنة الاشتقاق.

ويمكننا كذلك ملاحظة تركّز مقولات المحدثين حول ثلاث نقاط في تعريفهم للإِتباع، النقطة الأولى: النظر إلى الإِتباع من الناحية الشكلية الفنية الجمالية، والنقطة الثانية: النظر إلى الإِتباع من الناحية المعنوية، والنقطة الثالثة: الجمع بين النقطتين السابقتين، أي النظر إلى الإِتباع من الناحيتين الجمالية والمعنوية.

وسنعرض فيما يلي آراء كل فريق حول هذه النقاط الثلاث.

أما الآراء التي تركّزت حول النقطة الأولى للإِتباع فقد وردت على النحو الآتي:

يقول أحد الباحثين: "الإِتباع ظاهرة لغوية جمالية تدل على ما يعانیه المتكلّم من انفعال، وتمنح السامع متعة فنية ويجب أن تدرس مع مثيلاتها من الظواهر اللغوية التي لا يقصر المتحدّث بها إلى الإخبار المجرد ويرمي معه إلى المشاركة الوجدانية"<sup>(22)</sup>.

---

(20) تاج العروس السيد محمد مرتضى الزبيدي، دار صادر، (د. ط و د. ت) مادة قزح، 2/207.

(21) الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسين الكفوي، ضبطه: د. عدنان

درويش ومحمد المصري منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط2، دمشق 1981، 1/33.

(22) دراسات لغوية، د. حسين نصار، دار الرائد العربي، (د. ط) 1981م ص62.

ويقول باحث آخر: "الإتباع أسلوب طريف من أساليب الكلام العربي، فيه الرشاقة والتناغم وتقوية المعنى، وهو إلى الارتجال أقرب منه إلى القصد، وبالطرافة أشبه منه بالحصافة، وهو برهان واضح على ما في لغتنا المعجزة من ثراء وتنوع"<sup>(23)</sup>.

ويقول أيضاً أحد الباحثين "الإتباع خفة وذلاقة"<sup>(24)</sup>.

ويقول باحث آخر: "لست أعلم قانوناً كان أكثر عملاً في اللغة من قانون الإتباع حتى كان في آخرته طابعاً لغوياً فظهر أثره في الأصول والزوائد والكلمات والأدوات والاشتقاق"<sup>(25)</sup>.

وأما الآراء التي تركّزت حول النقطة الثانية للإتباع فقد وردت على النحو الآتي:

يقول محقق كتاب الإتباع لأبي الطيب اللغوي: "الإتباع يكون في الأسماء والأفعال، والإتباع الاسمي قسمان: إما أن يكون التابع متصلاً بالمتبوع و بمعناه أو ليس له معنى، ثم يجيء مفرداً، وهو نوعان: نوع يجيء التابع فيه بلفظ واحد بعد المتبوع نحو حسن بسن و حارّ يارّ، ونوع يجيء فيه لفظان بعد المتبوع نحو: حسن بسن قسن... وإما أن يكون التابع متصلاً بالمتبوع وله معنى، ولا يجيء أيضاً مفرداً كما هو في القسم الأول نحو عطشان نطشان وشيطان نيطان، والإتباع الفعلي: ما كان التابع فيه منفصلاً من المتبوع بواو العطف، والأفعال في هذا القسم الثاني قد تكون ظاهرة و بلفظ واحد نحو: عبس وبسر، وقد تكون مقدّرة كالمصادر التي قدّرت أفعالها نحو قبحاً له وشقحاً، وقد يجيء الإتباع الفعلي بلفظين تابعين نحو لا بارك الله في الشعوبيّ ولا تارك ولا دارك"<sup>(26)</sup>.

ويقول باحث آخر: "أن تتبع الكلمة الكلمة على وزنها أو رويها إشباعاً وتأكيذاً"<sup>(27)</sup>.

وكذلك قال آخر: "الإتباع على ضربين: ضرب يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيؤتى به توكيداً لأنّ لفظه مخالف للفظ الأول، وضربٌ فيه معنى الثاني غير معنى الأول، فمن الأول قولهم: رجل قسيم وسيم و كلاهما بمعنى الجميل، وضئيل بئيل بمعنى واحد. ومن الثاني حارّ يارّ وعطشان نطشان،

---

(23) الإتباع، د.غازي مختار طليمات، ص 35، مجلة آفاق الثقافة والتراث، تصدر عن إدارة البحث العلمي والنشاط الثقافي بمركز جمعية الماجد للثقافة والتراث، الإمارات العربيّة المتحدة، س 5، ع 18 آب 1997، ربيع ثاني 1418 هـ.

(24) مقدمة لدرس لغة العرب، وكيف نضع المعجم الجديد، عبد الله العلايلي، دار الجديد، ط2، 1997، ص 324.

(25) تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، أسعد أحمد علي، دار السؤال للطباعة والنشر بدمشق، ط2، 1985 م، ص 150، وكذلك مقدمة لدرس لغة العرب، عبد الله العلايلي، ص 323.

(26) مقدمة كتاب الإتباع لأبي الطيب، تحقيق عز الدين التتوخي، ص 4.

(27) البلغة في أصول اللغة، محمد حسن خان القنوجي، تحقيق: نذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية، ط1، 1988م، 1408 هـ، ص 213.

وجائع نائع، وحسن وبسن، والكلمة الثانية في هذا الضرب الثاني إنما هي تابعة للأولى على وجه التوكيد لها، وليس يتكلم بالثانية منفردة فلهذا قيل إيتباع<sup>(28)</sup>.

وأما الآراء التي تركّزت حول النقطة الثالثة للإيتباع فقد وردت على النحو الآتي:

يقول أحد الباحثين: "الأصل في الإيتباع أن تتبع الكلمة كلمة مأخوذة منها بتغيير بعض الحروف وترك بعضها الآخر لتكون هذه المجانسة في الصوت وسيلة لتأكيد معنى الكلمة الأولى، والغالب أن تقتصر المخالفة على حرف واحد، ولأن هذا هو الأصل في الإيتباع لم يكن للكلمة الثانية في كثير من الأحيان معنى أو اشتقاق واضح"<sup>(29)</sup>.

ويقول باحث آخر: "الإيتباع عبارة عن تأكيد الكلمة بضم كلمة أخرى إليها، لا معنى لها في ذاتها، غير أنها تساويها في الصيغة والقافية بغرض الزينة اللفظية وتأكيد المعنى، والكلمة الثانية تسمى الإيتباع ويقسمها اللغويون العرب بحسب معناها إلى ثلاثة أقسام: كلمة الإيتباع لها معنى واضح يدرك بسهولة مثل قولهم هنيئاً مريئاً، كلمة الإيتباع لا معنى لها على الإطلاق، ولا تستخدم وحدها، مثل شيطان نيطان، كلمة الإيتباع لها معنى متكلف مستخرج من الأولى مثل: خبيث نبيث"<sup>(30)</sup>.

ويدور حول المعنى السابق باحث آخر حيث يقول: "الإيتباع أن تتبع الكلمة كلمة أخرى تشبهها وزناً وموسيقاً قصداً للتوكيد، وهو ضربان أحدهما: أن تكون الكلمة الثانية فيه ذات معنى مرادف لمعنى الكلمة الأولى أو قريب منه كقولهم: قسيم وسيم فكل منهما معناها الحسن الجميل والضرب الآخر هو ما كانت الكلمة الثانية فيه لا صلة لها بمعنى الكلمة الأولى، وقد لا يكون لها معنى، أو لها صلة ولكنها بعيدة غير ظاهرة، وإنما ضُمَّت إلى الأولى لتزيين الكلام لفظاً وتقوية معنى"<sup>(31)</sup>.

ويقول أيضاً محقق كتاب الإيتباع والمزاوجة لابن فارس:

"الإيتباع أسلوب من أساليب الكلام، يقوم على طرفين هما التابع والمتبوع، ويربط بين الطرفين التزاماً بحرف في آخر كل طرف، وبوزن يتساوى فيه الطرفان، ويغلب أن يكون طرفاه اسمين لا فاصل بينهما، وأن يكون الثاني كلمة لا معنى لها حتى يكون الأسلوب أدخل في باب الإيتباع، على أنه قد يكون للتابع معنى بنفسه في نفسه وهو عندئذ يفيد تقوية المعنى"<sup>(32)</sup>.

(28) دراسات في فقه اللغة العربية، د.صبيح الصالح، دار العلم للملايين، ط3، 1968، ص 239.

(29) نصوص في فقه اللغة العربية، د.السيد يعقوب بكر، دار النهضة العربية، "د.ط"، 1971م، 2/332.

(30) فصول في فقه العربية، د.رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط3، 1987م، ص 246.

(31) أزهير الفصحى في دقائق اللغة، عباس أبو السعود، دار المعارف بمصر، "د.ط ود.ت"، ص 310 — 311.

(32) الإيتباع والمزاوجة، ابن فارس، تحقيق محمد أديب عبد الواحد جمران، ص 27.



وكذلك يقول ناشر كتاب الإتياع والمزاوجة الأول لابن فارس<sup>(33)</sup> فيما نقله عنه الدكتور رمضان عبد التواب: "يظهر من أمثلة ابن فارس بوضوح أن كلاً من الإتياع والمزاوجة يفترقان عن التعبيرات المماثلة كالسجع مثلاً في أن الكلمة الثانية في الإتياع والمزاوجة لا ترد فيما عدا ذلك من التراكيب أو على الأقل بهذا المعنى، كما يبدو أن اصطلاح الإتياع يقصد به الصيغ الوصفية التي تتبع الكلمة الأولى برابط أو تكون وحدها جملاً مستقلة تسمى بالمزاوجة"<sup>(34)</sup>.

وبعد هذا العرض لآراء القدماء والمحدثين في الإتياع، نعرض فيما يلي نماذج من كل نوع من أنواع الإتياع التي رأيناها في الأمثال، لنصل من خلالها إلى تعريف واضح للإتياع:

## 1 – كلمتان متاليتان لهما وزن وروي واحد ولا يوجد فاصل بينهما من مثل قولهم:

— "لكل ساقطة لاقطة"<sup>(35)</sup>.

— "تركتمهم في حيص بيص"<sup>(36)</sup>.

— "سواه لواه"<sup>(37)</sup>.

— "أكثر الظنون ميون"<sup>(38)</sup>.

## 2 – كلمتان متاليتان لهما وزن وروي واحد وقد فصل بينهما:

أ – بأحد حروف الجر الآتية "من، في، الباء، إلى، على" من مثل قولهم:  
— "قرنت الهيبة بالخيبة"<sup>(39)</sup>.

(33) ناشر كتاب الإتياع والمزاوجة الأول لابن فارس هو برونو.

(34) فصول في فقه العربية، د. رمضان عبد التواب، ص 247.

(35) مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد النيسابوري "الميداني"، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت "د. ط ود.ت" 185/2، قال الأصمعي وغيره: الساقطة: الكلمة يسقط بها الإنسان، أي لكل كلمة يخطئ بها الإنسان من يتحفظها فيحملها عنه. وقيل لكل كلمة ساقطة أذن لاقطة.

(36) المصدر نفسه، 175/1، يقول الميداني حيصَ بيصَ وحيصَ بيصَ، فالحيص: الفرار، والبوص: الفوت. وحيصَ من بنات الباء وبيصَ من بنات الواو، فصيرت الواو ياء ليزدوجا، يضرب لمن وقع في أمر لا مخلص له منه فراراً أو فوتاً.

(37) المصدر نفسه، 475/1، يقول الميداني: من السهو واللهو يعنى أن يسهون عما يجب حفظه ويشغلن باللهو.

(38) المصدر نفسه، 134/2 وفسره: المين: الكذب وجمعه ميون، يضرب عند الكذب وتزييف الظن.

(39) المستقصى في أمثال العرب، لأبي القاسم جار الله محمد بن عمر الزمخشري، دار الكتب العلمية، ط2، 1987، 97/2، لم يذكر حول معناه شيء وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا، مادة خيب، 368/1: خاب يخيب خيبة حرم ولم ينل ما طلب. والهيبة مادة هيب، 789/1: المهابة هي الإجلال والمخافة.

— "جاء بأَمِّ الرِّبِّيقِ على أَرِيقٍ" (40).

— "أُعِينَتْنِي مِنْ شُبِّ إِلَى دُبِّ" (41).

— "ما يعرف الحوَّ من اللوِّ" (42).

— "الخرقة من الشقَّة" (43).

— "أُضِيعَ مِنْ طَاوُوسٍ فِي نَاوُوسٍ" (44).

**ب — بأحد حروف العطف الآتية "أو، ثمّ، الفاء، أم" مثل:**

— "إنمّا هو الفجر أو البحر" (45).

— "الجار ثم الذار" (46).

— "ما أدري أعار أم مار" (47).

---

(40) مجمع الأمثال، الميداني، 233/1، قال أبو عبيد القاسم بن سلام أم الربيق الداهية وأصله من الحيات، ويدل هذا التركيب على شيء يحيط بالشيء ويدور به كالريقة وربقت فلاناً في هذا الأمر أي أوقعته فيه حتى ارتبق وارتبك، فكأنّ أم الربيق داهية تحيط وتدور بالناس حتى يرتبقوا ويرتبكوا فيها. وأمّا أريق فأصله: وريق تصغير أورك مرخماً وهو الجمل الذي لونه لون الرماد. قال الأصمعي: تزعم العرب أنه من قول رجل رأى الغول على جمل أورك.

(41) المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، 257/1، مفسّره الزمخشري بقوله: أي من حين شببت إلى حين دببت، يعني من الصبا إلى الهرم. يضرب للبغيض.

(42) مجمع الأمثال الميداني، 313/2، وفسّره بقوله: قال بعضهم: أي الحق من الباطل، وقال بعضهم: الحو: سوق الإبل، واللو: حبسها، ويروى الحيّ من اللّي، وقيل: الحو: نعم، واللو: لا. أي لا يعرف هذا من هذا.

(43) المصدر نفسه، 364/1. لم يذكر حول معناه شيء.

(44) الدرّة الفاخرة في الأمثال السائرة، للإمام حمزة بن الحسن الأصبهاني، تحقيق عبد المجيد قطامش، دار المعارف بمصر، "د.ط"، 1972م، 277/1. لم يذكر حول معناه شيء، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا: مادة طوس 127/6، الطاووس: طائر حسن همزته بدل من واو لقولهم طواويس. والطاووس في كلام أهل اليمن: الفضة، والطاووس: الأرض المخضرة التي عليها كل ضرب من الورد أيام الربيع، والناووس: مادة نوس 245/6 مقابر النصارى.

(45) مجمع الأمثال، الميداني، 94/1، وفسّره بقوله: أي إن انتظرت حتى يضيئ لك الفجر الطريق أبصرت قدرك، وإن خبطت الظلماء وركبت العشواء هجما بك على المكروه. يضرب في الحوادث التي لا امتناع منها.

(46) المصدر نفسه، 238/1، وفسّره بقوله: هذا كقولهم الرفيق قبل الطريق وكل منهما يروى عن النبي محمد "ص" قال أبو عبيد: كان بعض فقهاء أهل الشام يحدث بهذا الحديث ويقول معناه إذا أردت شراء دار فسل عن جوارها قبل شرائها.

(47) مجمع الأمثال، الميداني، 324/2، يقال غار أي أتى الغور، ومار أنجد أي أتى نجداً.

— "عين عرفت فذرفت" (48).

ت — بأحد الظروف الآتية: "بعد، تحت، قبل، دون، مع، أبداً" مثل:

— "من لي بالسائح بعد البارح" (49).

— "العنوق بعد النوق" (50).

— "حال الجريض دون القريض" (51).

— "الربّاح مع السماح" (52).

— "المشاوره قبل المساورة" (53).

— "أمضى من السيل تحت الليل" (54).

— "المُعجب أبداً مُغضب" (55).

---

(48) مجمع الأمثال، الميداني، 627/1، لم يذكر حوله شيءٌ فيما عدا مناسبة قوله. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا: مادة ذرف 109/9 الذرفُ: صَبَّ الدمع، وذرف الدمع يذرف ذرفاً وذرفاناً: سال. يضرب لمن رأى الأمر فعرف حقيقته.

(49) المصدر نفسه، 332/2، وفسّره بقوله: السائح من الصيد ما جاء عن شمالك فولاك ميامنه، والبارح ما جاء عن يمينك فولاك مياسره وأصل المثل: أن رجلاً مرت به ظباء بارحة والعرب تنتشام بها، فكره الرجل ذلك فقليل له: إنها ستمر بك سائحة فعندها قال: من لي بالسائح بعد البارح، يضرب مثلاً في اليأس عن الشيء.

(50) المصدر نفسه، 635/1، وفسّره بقوله: يضرب لمن كانت له حال حسنة ثم ساءت، أي كنت صاحب نوق فصرت صاحب عنوق والعناق: الأنثى من أولاد المعز.

(51) المصدر نفسه، 627/1، وفسّره بقوله: الجريض: الغصّة من الجرض وهو الرقيق يغصّ به، يقال جرض ريقه يجرض وهو أن يبتلع ريقه على هم وحزن، يقال مات فلان جريضاً أي مغموماً. والقريض الشعر. يضرب للأمر يقدر عليه أخيراً حين لا ينفع. وأصله: أن رجلاً كان له ابن نبغ في الشعر فنهاه أبوه عن ذلك، فجاش به صدره ومرض حتى أشرف على الهلاك، فأذن له أبوه في قول الشعر فقال هذا المثل.

(52) المصدر نفسه، 420/1، وفسّره بقوله: الرباح: الريح، يعني أن الجود يورث الحمد ويربح المدح.

(53) المصدر نفسه، 319/2، لم يذكر حوله شيءٌ فيما عدا مناسبة قوله. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا: مادة شور 434/4. استشار أمره إذا تبين واستتار. والمساورة: مادة سور 385/4 ساوره مساورةً وسواراً واثبه، والإنسان يساور إنساناً إذا تناول رأسه. يضرب في القائل من لا قوام لك به.

(54) جمهرة الأمثال، لأبي هلال العسكري حقه: محمّد أبو الفضل إبراهيم، عبد المجيد قطامش، المكتبة العصرية، ط1، 2003م، 185/2، لم يذكر حول معناه شيء.

(55) مجمع الأمثال، الميداني، 375/2.

ث — بأحد حروف المعاني الآتية: "لو، لا، ما، قد، الكاف، لما" ما مثل:

— "قد أحزم لو أعزم"<sup>(56)</sup>.

— "إنّ أُمامي ما لا أسامي"<sup>(57)</sup>.

— "أقصرَ لما أبصر"<sup>(58)</sup>.

— "ليس المشير كالخبير"<sup>(59)</sup>.

— "من بدا فقد جفا"<sup>(60)</sup>.

— "اسعَ بجدك لا بكدك"<sup>(61)</sup>.

**ومن خلال ما تقدّم يمكننا استخلاص تعريفٍ للإتباع نجمله بالآتي:**

الإتباع: هو توارُدُ<sup>(62)</sup> كلمتين أو ثلاث<sup>(63)</sup> في أسلوبٍ كلامي مرتجل، يغلب عليه الإيقاع الواحد، والتوافق في الوزن والروي، يسمّى طرفاه التابع والمتبوع، والغالب ألا يفصل بينهما بفصل، وقد يفصل بينهما بحرف من حروف المعاني أو الجر أو العطف<sup>(64)</sup>، ويمكن أن يكون التابع كلمة لا معنى

---

(56) مجمع الأمثال، الميداني، 64/2، وفسّره بقوله: أي إن عرفت الرأي فأمضيته فأنا حازم وإن تركت الصواب وأنا أراه وضيعت العزم لم ينفعني حزمي.

(57) المصدر نفسه، 104/1، وفسّره بقوله: أي ما لا أساميهِ ولا أقاومه، يضرب للأمر العظيم ينتظر وقوعه.

(58) جمهرة الأمثال، العسكري، 161/1، والإقصار الكف عن الشيء مع القدرة عليه والقصور العجز عنه، قصرت عنه وأنا قاصر إذا لم تقدر عليه، وأقصرت عنه إذا تركته وأنت قادر عليه، يضرب للراجع عن الذنب.

(59) مجمع الأمثال، الميداني، 270/2، لم يذكر حول معناه شيء، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا: مادة شور 435/4 المستشير الذي يعرف الحائل من غيرها من الدواب، ويقول شاورته في الأمر واستشّرت به معنى، وفلانٌ خيرٌ شيرٌ أي يصلح للمشاورة. وشاوره مشاورة وشواراً واستشّاره طلب منه المشورة. الخبير: مادة خبر 226/4. خبِرْتُ بالأمر أي علمته، وخبير: عالم بالخبر.

(60) المستقصى في أمثال العرب، الزمخشري، 354/2، لم يذكّر حوله شيءٌ فيما عدا مناسبة قوله. وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا تفسيراً للمثل 148/14 من بدا فقد جفا أي من سكن البادية غلظ طبعه لقلّة مخالطة الناس. والجفاء غلظ الطباع. ولم يذكر مناسبة قوله.

(61) المصدر نفسه، 168/1، يضرب في فوز المجدود بمساعيه دون غيره.

**ملاحظة:** هناك نوعٌ من الإتباع ذكره ابن فارس في كتابه الإتباع والمزاوجة يأتي فيه التابع مخالفاً للمتبوع في حرف الروي وهو نادرٌ في كتب الأمثال لذلك لم نتطرّق إليه في بحثنا هذا.

(62) نقصد بالتوارد هنا أنّ ذكر إحدى الكلمتين يستدعي في ذهن الأخرى تلقائياً وعفو الخاطر دون أدنى جهد مبذول وهذا ما ندعوه بالارتجال.

(63) نريد هنا أن نقول أنّ هناك نوعين من الإتباع ثنائي مثل خبيث نبيث وهو الأكثر، وثلاثي مثل كثير بثير بثير وهو أقل من الثنائي.

(64) نستثني هنا الواو من حروف العطف لأنها تخص المزاوجة كما سنرى.

لها جاءت لغاية فنيّة جماليّة هي تزيين الكلام لفظاً، وتوكيد المتنوع، وإمتاع السامع، وقد يكون التابع كلمة لها معنى يبيّن جاء لتقوية معنى المتنوع وتوكيده.

## ب – مفهوم ظاهرة المزاجيّة قديماً وحديثاً:

كما تعددت آراء اللغويين والعلماء في الإتياع، كذلك الأمر في المزاجيّة، فقد تعدّدت فيها الآراء وعقدت فيها الأبواب والفصول، وتعرّضت لها المعاجم اللغوية، وللوقوف على معنى المزاجيّة وتحديد دقيق لها، سنعرض لتلك الآراء حسب تسلسلها الزمني، لنضع بعد ذلك القول الذي ارتضيناه تعريفاً لهذه الظاهرة.

### 1 – قديماً:

المزاجيّة في كتب اللغة: أ – كتب مستقلة.

ب – فصول ضمن كتب أخرى.

#### أ – كتب مستقلة:

يقول ابن فارس "ت 395هـ" في مقدمة كتابه "هذا كتاب الإتياع والمزاجيّة وكلاهما على وجهين..."<sup>(65)</sup> ويتابع ابن فارس تعريفه ويذكر أنواعاً عديدة للإتياع والمزاجيّة يظهر من خلالها أنه لا فرق عند الرجل بين الإتياع والمزاجيّة، فقد كان يجمع بين الترويج والإتياع فيقول: "هو تزويج، ويصلح أن يكون إتياعاً"<sup>(66)</sup>.

## ب – فصول ضمن كتب متنوعة الموضوعات:

يورد ابن قتيبة "ت 276 هـ" أمثلة من المزاجيّة ومعظمها بواو العطف، وقد أدرجها تحت باب بعنوان "تأويل المستعمل من مزدوج الكلام"<sup>(67)</sup>.

ومن خلال استقراء الأمثلة التي وردت ضمن هذا الباب وجدنا أن ابن قتيبة قد أورد ثلاثة أمثلة ممّا يعده مزاجيّة لم تكن فيها واو العطف وهي: "هو جائع نائع" "ما يعرف هراً من برّ" "ما يعرف

---

(65) الإتياع والمزاجيّة، ابن فارس، ص 43.

(66) المصدر نفسه، ص 46.

(67) أدب الكاتب، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الكوفي المروزي الدينوري، حققه محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر، ط4، 1963م، ص 37.

قبيلاً من دبير" وهذا يدل على أن معنى المزوجة لم يكن واضحاً في ذهن ابن قتيبة، ولم يصل إلى تحديد دقيق لمفهومها.

وكذلك تعرّض الزمخشري (ت 538 هـ) للمزوجة حيث يقول: "ومن المجاز تزواج الكلامان وازدوجا وقالوا على سبيل المزوجة والازدواج، وأزوج بينهما وزاوج"<sup>(68)</sup>. وهنا نلاحظ أن الزمخشري بيّن في قوله هذا أن ظاهرة المزوجة تقتضي وجود كلمتين تُقرن إحداهما بالأخرى .

### المزوجة في المعاجم العربيّة:

#### أ – المعاجم اللغوية:

يقول ابن منظور (ت 711 هـ) "والمزوجة والازدواج بمعنى ازدوج الكلام، وتزواج أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن أو كان لإحدى القضيتين تعلّق بالأخرى، وزوّج الشيء بالشيء، وزوجه إليه: قرنه"<sup>(69)</sup>. وكذلك عرض الزبيدي (ت 1205 هـ) للمزوجة حيث قال: "ومن المجاز تزواج الكلامان وازدوجا، وقالوا على سبيل المزوجة هو والازدواج بمعنى واحد، وازدوج الكلام وتزواج أشبه بعضه بعضاً في السجع أو الوزن، أو كان لإحدى القضيتين تعلّق بالأخرى"<sup>(70)</sup>.

#### ب – المعاجم الاصطلاحية:

يقول علي بن محمد الشريف الجرجاني (ت 816 هـ): "المزدوج: وهو أن يكون المتكلم بعد رعايته للأسجاع يجمع في أثناء القرائن بين لفظين متشابهين في الوزن والروي"<sup>(71)</sup> كقوله تعالى "وجئتكم من سبأ نبأ يقين"<sup>(72)</sup>. ويقول أبو البقاء الكفوي في الكليات: "رد الازدواج هو في البديع تناسب المتجاورين"<sup>(73)</sup>، "وجئتكم من سبأ نبأ"<sup>(74)</sup>.

هنا نلاحظ أيضاً عدم الاتفاق على بلورة مفهوم واضح للمزوجة في ذهن القدماء من أصحاب المعاجم، فقد انصبّت أفكارهم على التناسب بين المتجاورين من جهة السجع أو الوزن دون توضيح هيئة هذا التجاور.

---

(68) أساس البلاغة، جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، دار صادر ط1، 1992، ص277.

(69) لسان العرب، ابن منظور، مادة زوج، 293/2.

(70) تاج العروس، محمد مرتضى الزبيدي، مادة زوج، 55/2.

(71) كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، "د.ط"، 1990، ص334.

(72) سورة النمل – الآية 22.

(73) الكليات، أبو البقاء الكفوي، ص117.

(74) سورة النمل – الآية 22.

## 2 — حديثاً:

وفيما يتعلق بالمحدثين نلاحظ كذلك انقسامهم بين فريقين في نظرتهم للمزاوجة، فريق رأى فيها غاية توكيدية، وفريق رأى فيها غاية شكلية أسلوبية عملها في الاشتقاق ضعيف أو لا عمل لها.

أمّا آراء الفريق الأول فقد جاءت في قول أحدهم: "القاعدة في الإتياع أن تتبع الكلمة الأولى كلمة أخرى مجانسة لها دون أن تربط بينهما أو العطف، فإذا جاءت الواو فهذه مزاججة"<sup>(75)</sup>.

ويقول في موضع آخر: "والغرض من المزاججة كالغرض من الإتياع، وهو تأكيد معنى الكلمة الأولى بالمجانسة الصوتية، وفي الازدواج كما في الإتياع نجد المجانسة بالوزن والروي أكثر من النوع الثاني"<sup>(76)</sup>.

وكذلك يقول باحث آخر: "ومن مظاهر الموسيقية في نثر اللغة تلك العبارات الكثيرة التي تشمل على ما يسمى بالازدواج أو المزاججة مثل حسن بسن، شيطان نيطان، عفريت نفريت، ونحو هذا من عبارات تنتهي بكلمات لا معنى لها ولا تستعمل مستقلة، وإنما جيء بها لتقوية البنية فيما يسبقها من كلمات بترديد الأصوات المتماثلة، وإن لم تفد معنى جديداً في غالب الأحيان"<sup>(77)</sup>.

وأمّا آراء الفريق الثاني فقد جاءت في قول أحدهم: "ذكرنا أنّ المزاججة نحو من الإتياع وهي لا تكون إلا في القصّة ومن ثم يظهر أنّ عملها في الاشتقاق ضعيف أو لا عمل لها أبداً، وإنما قُصدت دلافة في الأسلوب ومسيرة للاتساق اللفظي"<sup>(78)</sup>.

ويقول باحث آخر: "والازدواج كثير الوقوع في اللغة العربية، وله شواهد عديدة تدلّ على ذوق العرب في هندسة الألفاظ والتعابير"<sup>(79)</sup>.

ويعرّف محقّق كتاب الإتياع والمزاوجة لابن فارس المزاججة بقوله: "إنّ المزاججة أسلوب من أساليب الكلام، يقوم على تجاور طرفين منه وعلى إيجاد تناسب موسيقي بينهما، ومصدر هذا التناسب جناس ناقص يربطهما، أو مشكلة في السجع، وارتباط بوزن ولا حاجة لربط القضية بالقصة، أو لغلبة وجود فعل في الطرفين"<sup>(80)</sup>.

---

(75) نصوص في فقه اللغة العربية، د. السيد يعقوب بكر، 2 / 327.

(76) المرجع نفسه، 339/2.

(77) دلالة الألفاظ، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، ط3، 1972، ص 204.

(78) مقدمة لدرس لغة العرب، عبد الله العلايلي، ص 328، وكذلك تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي د. أسعد علي ص 154 — 155.

(79) النثر الفني في القرن الرابع، زكي المبارك، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر "د. ط" 1931م، 1 / 112.

(80) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، تحقيق: محمد أديب عبد الواحد جمران، ص 30.

وكذلك يرى محقق كتاب الإتياع لأبي الطيب اللغوي أن "هناك نوعاً من الإتياع يكون فيه الأول تابعاً للثاني، ويتساهل بعضهم فيسميه إتياعاً وبعضهم يسميه ازدواجاً، وهو أولى منعاً للالتباس"<sup>(81)</sup>.

ويقول في موضع آخر: فالمزوجة تغيّر يصيب بنية الكلمة، أو أنه زيادة تضاف إليها حتى تناسب ما سبقها أو ما لحقها من الكلام، وأنها كالإتياع لكنها تخالفه بقصد التناغم الموسيقي<sup>(82)</sup>.

وبعد هذا العرض لآراء القدماء والمحدثين في المزوجة، نعرض فيما يلي نماذج من المزوجة جاءت في الأمثال، لنصل من خلالها إلى تعريف واضح لها.

— "لقيته أول صوتك وبوك"<sup>(83)</sup>.

— "هو بين حاذفٍ وقاذفٍ"<sup>(84)</sup>.

— "يكي إليه شعباً وجوعاً"<sup>(85)</sup>.

— "أخبرته بعجري وبجري"<sup>(86)</sup>.

— "رماه بسكاته وصماته"<sup>(87)</sup>.

فمن خلال النماذج السابقة يمكننا استخلاص تعريف للمزوجة يتلخص في أن:

المزوجة: هي تزواج<sup>(88)</sup> كلمتين أو ثلاث<sup>(89)</sup> في أسلوب كلامي مرتجل، يقوم على طرفين يغلب عليهما الإيقاع الواحد والتوافق في الوزن والروي، والغالب أن يفصل بين طرفيه بحرف عطف هو

---

(81) الإتياع لأبي الطيب، تحقيق عز الدين التتوخي، ص 10.

(82) المصدر نفسه، ص 10، بتصرف.

(83) مجمع الأمثال، الميداني 2/209، وفسره بقوله: أي أول شيء. باك الحمار الأتان يبوكة بوكاً إذا نزل عليها، وصاك الطيب يصيك به صيكاً إذا لصق. صير الصيك صوكاً للازدواج والصوك يدل على السكون والبوك على الحركة كأنه قال: لقيته أول متحرك وساكن.

(84) المصدر نفسه، 2/462، وفسره بقوله: الحاذف بالعصا، والقاذف بالحصي. قالوا في الأرنب لأنها تحذف بالعصا وتقذف بالحجر. يضرب لمن هو بين شرين.

(85) المصدر نفسه، 2/505، وفسره بقوله: يضرب لمن عادته الشكاية ساءت حاله أو حسنت.

(86) المصدر نفسه، 1/331، وفسره بقوله: قيل: العجر: العروق المتعقدة، والبجر: أن تكون تلك العروق في البطن. يضرب لمن تخبره بجميع عيوبك ثقة به.

(87) جمهرة الأمثال، العسكري 1/404، وفسره بقوله: أي بأمر أسكته.

(88) نقصد هنا بكلمة تزواج أي تضام كلمتين مع بعضهما البعض ارتجالاً دون أدنى جهد مبذول.

(89) نريد هنا ما ذكرناه في الإتياع من وجود نوعين للمزوجة ثنائي مثل: رماه بسكاته وصماته، وثلاثي مثل: أخبرته خبوري وشقوري وفقوري.



الواو، وأن يكون طرفه الثاني كلمة لها معنى جاءت لتقوية الكلام، ولتأكيد معنى الكلمة الأولى ومزاوجتها فتبدوان كالزوج الواحد.

**وبعد العرض السابق لآراء القدماء والمحدثين يمكننا ملاحظة ما يلي:**

1 — عدم اتفاق القدماء على بلورة مفهوم واضح للإتباع وهذا ما أدى إلى تداخل في المصطلحات والتسميات.

2 — انقسام المحدثين بين ثلاث فرق في نظرتهم للإتباع: فريق نظر إليه من الناحية الشكلية الجمالية، وآخر نظر إليه من الناحية المعنوية، وثالث نظر إليه من الناحيتين معاً أي الجمالية والمعنوية.

3 — عدم وضوح مفهوم المزوجة في ذهن القدماء والمحدثين واختلافهم في بلورة مفهوم واضح لها.

5 — انقسام المحدثين إلى فريقين في نظرتهم للمزوجة فريق رأى فيها غاية توكيدية، وفريق رأى فيها غاية شكلية أسلوبية لا عمل لها.

6 — الأمر الذي دفعنا إلى إيراد تعريف للإتباع وآخر للمزوجة يتلخص في أن الإتباع:

توارد كلمتين أو ثلاث في أسلوب كلامي مرتجل، يغلب عليه الإيقاع الواحد، والتوافق في الوزن والروي، يُسمّى طرفاه التابع والمتبوع، والغالب ألا يفصل بينهما بفاصل، وقد يفصل بينهما بحرف من حروف المعاني أو الجر أو العطف، ويمكن أن يكون التابع كلمة لا معنى لها جاءت لغاية فنية جمالية هي تزيين الكلام لفظاً، وتوكيد المتبوع، وإمتاع السامع، وقد يكون التابع كلمة لها معنى بيّن جاء لتقوية معنى المتبوع وتوكيده.

والمزوجة: هي تزواج كلمتين أو ثلاث في أسلوب كلامي مرتجل، يقوم على طرفين يغلب عليهما الإيقاع الواحد والتوافق في الوزن والروي، والغالب أن يفصل بين طرفيه بحرف عطف هو الواو، وأن يكون طرفه الثاني كلمة لها معنى جاءت لتقوية الكلام، ولتأكيد معنى الكلمة الأولى ومزاوجتها فتبدوان كالزوج الواحد.

## ثانياً: البعد النفسي للإتباع والمزاوجة:

لقد تميّزت طائفةً من الأمثال العربيّة ببناء لغويّ خاص، يغلب عليه الإيقاعيّة والموسيقا، إنّهُ في ظاهر الأمر يبدو كأنّه نوعٌ من الجناس أو السجع الذي نلاحظه في الكلام، ولكنّه في الحقيقة بناءٌ فريد تجلّى في توالي كلمتين متشابهتين في معظم حروفهما، وقد اتفقتا في الحرف الأخير، ولهما وقعٌ خاص تتجاوب أصدائه في أذن السامع؛ إنها ثنائية فريدة أبدعتها ذاكرة العرب، وألفتها نفوسهم وفي ذلك يقول أحد الباحثين:

"إنّ الكلمات التي تكون على بنية واحدة تجمعها رابطة الجرس والنغمة، وتميزها في الكلام المسموع من غيرها من الألفاظ، كما تجمعها أو تكاد رابطة التناظر الترييني في الكلام المكتوب وإن كانت الأولى أوضح وأقوى"<sup>(90)</sup>.

إن العلاقة بين النطق والأذن علاقة وثيقة، فالكلام المنطوق يحمل بالضرورة وقعاً إيقاعياً خاصاً يترك أثره في الأذن أولاً قبل العقل، والأذن ميّالة بطبعها إلى سماع الأصوات التي تحمل شيئاً من الإيقاعية وتطرب لها<sup>(91)</sup>.

وإذا ما حاولنا الوقوف على أسرار هذه الثنائية التي تجلّت في الإتباع والمزاوجة يتبادر إلى ذهننا مباشرة أنّ المتكلم أراد أن يحدث لدى السامع متعةً فنية فهي ناحية جمالية لفظية، ولكننا إذا ما تعمقنا في التفكير في سرّ هذه الظاهرة نكتشف أموراً أخرى تتجاوز الناحية الشكلية الجمالية؛ إنّ كلمات تلك الأمثال تترايط بشكل عجيب وترتبط فيما بينها ترابطاً ملحوظاً، فإذا ما نطقنا بالكلمة الأولى من الثنائية نجد أنّ الكلمة الثانية حضرت في ذهننا تلقائياً وكأنهما كالزوج الواحد لا يفترقان، وكل واحد منهما يستدعي الآخر في ذهننا لحظة النطق به.<sup>(92)</sup>

إننا نلاحظ وجود تجاذب قوي بين كلمتي الثنائية، وهذا التجاذب يحدث بصورة آلية ولا نكاد نشعر به.<sup>(93)</sup>

والشيء الملحوظ أيضاً أنّ هذه الثنائية لا تشترك فقط في الحروف أو الشكل، بل نجد ارتباطاً دلالياً بينهما، وكأنّ اللفظة الثانية إنما جاءت لتؤكد الأولى وتتزاوج معها في سياق لغوي فريد.

---

(90) فقه اللغة وخصائص العربيّة، دراسة تحليليّة مقارنة للكلمة العربيّة وعرض لمنهج العربيّة الأصيل في التجديد والتوليد، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت ط 5، 1972، ص 125.

(91) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 195 بتصرف.

(92) محاضرات في علم النفس اللغوي، د. حنفي بن عيسى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع "د. ط و د. ت" ص 209، بتصرّف.

(93) المرجع نفسه، ص 215 بتصرّف.

"فمجرد النطق بتلك الكلمة المرتجلة يدعو إلى الذهن لفظاً آخر معروفاً يشترك معها في بعض حروفها أو صفات تلك الحروف، ويفد ذلك اللفظ المعروف ومعه دلالاته فيوحي بشيء من دلالة ذلك اللفظ المرتجل" (94).

ويمكننا ملاحظة هذا التلازم والارتباط الوثيق بين كلمتي الإيتباع والمزاوجة في الأمثال التالية:  
— "هلكوا فصاروا حنّاً بُنّاً" (95).

فهنا نلاحظ الارتباط بين الكلمتين "حنّاً بُنّاً" لفظياً ودلالياً، ونطق إحداهما يستدعي الأخرى في الذهن تلقائياً وهذا ما نسميه بالارتجال.  
— "بلغ فلانٌ من العلم أطوريه وأقوريه" (96).

وهنا نلاحظ كذلك الارتباط الوثيق بين كلمتي المزاوجة واتفاقهما في الدلالة، ونلاحظ كذلك علاقة الارتجال التي تميزهما فنطق إحداهما يستدعي الأخرى مباشرة.  
— "النفس عزوفٌ ألوفٌ" (97).

فهنا نلاحظ كذلك الارتباط بين الكلمتين، فمجرد النطق بإحداهما تحضر الكلمة الأخرى في أذهاننا تلقائياً ودون مشقة، فهي أشبه ما تكون "بعربات مقطورة لا تسير إلا إذا سحبتها القاطرة، فهي هياكل لواحق، تستمد حركتها من السوابق التي تشق لها السبل إلى أذهان السامعين" (98).

إنّ الإيقاعية التي نلاحظها في هذه الثنائية تأتي بمنزلة توقيعات نفسية تنفذ إلى صميم السامع لتَهزّ أعماقه في هدوء ورفق، وهذه التوقيعات النفسية التي تخلفها الثنائية تعكس راحة نفسية عند المتكلم أيضاً تدفعه للوقوف عندها (99). وفي ذلك يقول أحدهم: "الذي يقوم به العمال من غناء جماعي أثناء أداء العمل لا يقصدون به التطريب، ولكنهم يقصدون إيجاد إيقاع معين لحركة العمل لولاه لأدّى التعب إلى التباطؤ في العمل، ولولا ما يسببه هذا الغناء من صبغ العمل بصبغة التسلية لكان الإحساس بمشقة العمل أكبر" (100).

---

(94) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 78.

(95) مجمع الأمثال، الميداني 478/2. وفسره بقوله: الحثّ: الذي قد ببس، والبث: الذي قد ذهب.

(96) الإيتباع والمزاوجة لابن فارس 75، وفسره بقوله: أي منتهاه، أطوريه وأقوريه: الدواهي.

(97) المصدر نفسه، 392/2، وفسره بقوله: يقال عزفت نفسي عن الشيء تعزف عزوفاً أي زهدت فيه وانصرف عنه ومعنى المثل: أنّ النفس تعتاد ما عودت، إن زهدتها في شيء زهدت وإن رغبتها رغبت.

(98) الإيتباع، د. غازي طليمات، ص 37، مجلة آفاق الثقافة والتراث، س 5، ع 18، آب 1997، ربيع الثاني 1418هـ.

(99) التفسير النفسي للأدب، د. عز الدين إسماعيل، دار العودة ودار الثقافة، "د. ط و د. ت" ص 62، بتصرف.

(100) اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمام حسان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د. ط)، 1973، ص 362.

إنّ هذا الرأي يؤكد أهمية هذه الموسيقى والإيقاعية في لغة الأمثال، ويعكس دورها الكبير في إمتاع السامع، وتحقيق الراحة النفسية له عند نطق المثل وسماعه.

وتبدو هذه الإيقاعية واضحة في الأمثال التالية:

— "ما عنده شوبٌ ولا روبٌ"<sup>(101)</sup>.

— "ما عنده خيرٌ ولا ميرٌ"<sup>(102)</sup>.

— "ما عنده طائلٌ ولا نائلٌ"<sup>(103)</sup>.

— "ما له حانةٌ ولا آنةٌ"<sup>(104)</sup>.

إن نظرة تأملية في هذه الأمثال تجلو لنا بوضوح الجرس والنغم الخاص الذي تتميز به هذه الأمثال، ونلاحظ كذلك الراحة النفسية التي نجدها عند نطق أحدها.

أما سبب شيوع هذا الإيقاع والجرس في هذه الأمثال وغيرها، فقد ذهب الباحثون في تفسيره مذاهب شتى، يقول أحدهم: إن قائل هذا النوع أراد أن يملأ الدنيا صياحاً وصخباً وجلبةً، وأن يُسمع بحال الشخص الموصوف فلم يكتفِ بنفي كل شيء عنده، بل زاد هذا الجرس الذي أحدثه الازدواج، وهو الذي كان بمنزلة الصياح والصخب الذي يصحب النزاع والشجار<sup>(105)</sup>.

ويقول أيضاً نقلاً عن آخر: "ولا يخفى ما في الأمثال التعبيرية التي تهدف إلى هذه المبالغة من ازدواج بين الكلمتين (المسند إليه وما عطف عليه المفيدتين الكثير والقليل أو الكبير والصغير) يحقق جرساً عدّه بعض الباحثين من المظاهر اللغوية البدائية التي حفظتها الأمثال، ولا إنكار لأنها نموذج للغة العربية القديمة الدالة على أولية حياة الشعوب التي تشبه إلى حد ما حياة الطفل وإذا نظرنا في

---

(101) مجمع الأمثال، الميداني، 321/2 وفسره بقوله: قال ابن الأعرابي: الشوب: العسل المشوب، والروب: اللبن الرائب.

(102) المصدر نفسه، 312/2 وفسره بقوله: الخير كل ما رزقه الناس من متاع الدنيا، والمير ما جلب من الميرة وهو ما يتقوت فيتزوج، أي ليس عنده خير عاجل ولا يرجى منه أن يأتي بخير.

(103) المصدر نفسه، 312/2 وفسره بقوله: الطائل: من الطول وهو الفضل، والنائل من النوال وهو العطية، والمعنى ما عنده فضل ولا جود.

(104) المصدر نفسه، 292/2 وفسره: أي ناقة ولا شاة.

(105) الأمثال العربية القديمة، دراسة نحوية، محمد جمال صقر، جامعة السلطان قابوس، ط1، 2000م، ص 57.

حياة الطفل، وجدنا أنه مولع بتكرار اللفظ أو ترديد الألفاظ المتشابهة الجرس في داخل العبارة، يرددها مرة بعد مرة، ويساجل أترابه في النطق بها صحيحة دون أن يعثر اللسان أو يختلط القول<sup>(106)</sup>.

ويقول باحث آخر: "وفي رأيي أن ظاهرة الموسيقى في اللغة العربية تُعزى في أغلب عناصرها إلى تلك الأمية حين كان الأدب أدب الأذن لا أدب العين، وحين اعتمد القوم على مسامعهم في الحكم على النص اللغوي، فاكتمت تلك الآذان المران، والتميز بين الفروق الصوتية الدقيقة، وأصبحت مرهفة تستريح إلى الكلام الحسن وقعه أو إيقاعه، وتأبى آخر لنبوه، أو لأنه كما يعبر أهل الموسيقى نشاز<sup>(107)</sup>".

ويقول في موضع آخر: "ويعجب القارئ عادةً بمعاني الكلام أكثر من إعجابه بوقعه في الأسماع، في حين أن الأمي المرهف الأذن يستجيب أولاً لرنين اللفظ ونغمه، وقد ينفعل له ويتأثر به تأثراً قوياً وإن خلا من جمال في مضمونه ومعناه<sup>(108)</sup>".

ونحن نرى أن سبب شيوع هذا الجرس والإيقاع في لغة الأمثال المدروسة، يمكن أن يعود إلى الحداء<sup>(109)</sup> الذي ألفته ذاكرة العربي في الفياقي الواسعة بصحبة ناقته أو قطعانه، والحداء أقدم غناء مفرد موقع على نغمة ثابتة، وهي حركة الجمل في حالتَي الإسراع والإبطاء. وأما عن الدلالة التي يرمي إليها هذا الجرس المنفرد في لغة الأمثال، فإننا نرى فيه إفحاماً للمتلقى، ونفحاً أذنه بوقع يجعله يقف عاجزاً أمامه، منبهراً بسحره، مقتنعاً بقيمة المثل التي توفر عليه التجربة والاستشارة.

وفي ذلك يقول أحدهم:

"للمثل في المجتمع التقليدي أهمية ملحوظة فهو كالنبيّ قوله لا يُرد، وعلى هذا فإن إيراد المثل في معرض الحديث يكون حجة أو وصولاً إلى الحقيقة، ذلك أنه خطط الطريق للتفكير، ويفكر عوضاً عن الناس، وكأنه يقتل بذلك روح المبادرة وروح الانعتاق<sup>(110)</sup>" ويقول آخر: "تعتبر الأمثال والحكم براهين قاطعة يستحضرها المتكلم أو الكاتب للدفاع عن رأي أو عقيدة، بها يبكتان الخصم في الحوار

---

(106) الأمثال العربية القديمة، محمد جمال صقر، ص 57، نقلاً عن عبد المجيد عابدين في كتابه الأمثال في النثر العربي القديم.

(107) دلالة الألفاظ، إبراهيم أنيس، ص 195.

(108) المرجع نفسه، ص 197.

(109) وردت فكرة الحداء عند عباس محمود العقاد في كتابه اللغة الشاعرة، فقد أرجع شيوع الوزن والقافية في الشعر العربي واختصاصه بهما إلى هذا الغناء المفرد، لمزيد من التوضيح ينظر اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية، عباس محمود العقاد، منشورات المكتبة العصرية، د.ط، ود.ت، ص 47.

(110) التحليل النفسي للذات العربية، أنماطها السلوكية والأسطورية د.علي زيعور، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط3، 1982م، ص 90.

والجدل، ويطعنان الغريم في المناظرة فيضرب المثل تستنفر الطاقات الاستدلالية الكامنة في التعبير لأنه شاهد ودليل فضلاً على أنه موصوف بالقدم – والقديم له دوماً قداسته ، فإذا قام الحوار على الحجاج وتخللته الأمثال والحكم تحول إلى محلّ صراع تتشاجر فيه البراهين، وتتجسد فيه قوة الصولة بالقولة المحكمة والدليل المفهم<sup>(111)</sup>. إننا نرتاح عند سماع هذا التوكيد النغمي، وكأنّ المتكلم يحاول أن يعكس واقع الحال الذي يعيشه في ذهن السامع، ويحاول أيضاً أن يفرغ انفعالاته عبر هذا النغم الذي يتخذ في معظم الأحيان نمط التشديد، إنه يشبه الطفل المنفعل الذي يضرب الأرض بقدميه. إن العنف كثيراً ما يكون ردّ فعل انفجاريّاً على عدم الاعتراف بأهمية الأنا الذي يمارسه السامع على المتكلم. ولهذا كلّ جاءت الإيقاعات العنيفة في كلمتي الإتياع والمزاوجة لأنهما نهاية المثل في الغالب؛ فكانت تعبيراً واسع الأبعاد عن التوتر الذي يعاني منه المتكلم<sup>(112)</sup>.

والشيء الملحوظ في الأمثال ذات الإيقاعات العنيفة "التشديد" هو تراكم الأصوات الشديدة في المثل حتى يحقّق قفزة صوتيّة ثقيلة الوقع تتجلى في الكلمات المزوجة<sup>(113)</sup>.

وهذا ما نلاحظه في قولهم:

— "ويل للشجيّ من الخلي"<sup>(114)</sup>.

— "ما يلقي الشجيّ من الخلي"<sup>(115)</sup>.

فهنا نلاحظ كيف جاء المثل تعبيراً عن التوتر والانزعاج الذي شعر به قائل المثل من جرّاء ما شاهده، ونلاحظ كيف جاءت كلمتا الإتياع بإيقاع عنيف تجلّى في التشديد، وبالصوت الشديد "الجيم"<sup>(116)</sup>.

---

(111) وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان، دار سحر للنشر، ط1، 2004 م، ص 119.

(112) مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، دار الحقائق، ط3، 1983، ص189، بتصرف.

(113) المرجع نفسه، ص 266، بتصرف.

(114) مجمع الأمثال، الميداني، 553/1. وفسّر الميداني معناه في موضع حديثه عن المثل "صغراهنّ شراهنّ"

(115) المصدر نفسه، 296/2. وفسّره بقوله: أول من قاله امرأة كانت في زمن لقمان، لها زوج يقال له الشجي، وخليّل يقال له الخلي، فنزل لقمان بهم، فرأى هذه المرأة ذات يوم انتبذت من بيوت الحي، فارتاب لقمان بأمرها فتبعها فرأى رجلاً عرض لها، ومضيا جميعاً وقضيا حاجتهما. ثمّ إنّ المرأة قالت للرجل: إني أتماوت فإذا أسندوني في رجلي فأنتني ليلاً، ثم اذهب إلى مكان لا يعرفنا أهله. فلمّا سمع لقمان بن عاد ذلك قال: ويل للشجي من الخلي فأرسلها مثلاً.

(116) المدخل إلى فقه اللغة العربيّة، د. أحمد محمد قدور، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، حلب، "د.ط"، 1998 ص122.

وكذلك قولهم: "التقدّم قبل التندّم"<sup>(117)</sup>.

وهنا نلاحظ كذلك الإيقاع العنيف في هذا المثل من خلال التشديد وتراكم الأصوات الشديدة مثل "القاف والتاء والdal"<sup>(118)</sup>.

وكذلك قولهم: "ردّ الطرف من الظرف"<sup>(119)</sup>. وهنا نلاحظ كذلك إيقاعاً متواتراً تجلّى في التشديد وتراكم الأصوات الشديدة مثل "الطاء، الدال".

إنّ الأصوات الشديدة كذلك تكرّرت في معظم الأمثال المدروسة، والتكرار هو تأكيد لذات القائل بالإيقاعات الشديدة إلى جانب المعنى، فالمتكلّم بهذا الإيقاع العنيف يلفت الانتباه إلى موقفه، وكلّما كانت الإيقاعات عنيفة عكس ذلك عمق الانفعال والتوتر في نفس المتكلّم. إنّهُ يتخيّر اللفظة الأقسى للحالة الأقسى مستخدماً متواليّة موسيقيّة يتساوى فيها الطرفان بعدد الأحرف والوزن، ويتشارك بالحرّف الأخير كما هو ملحوظ في الأمثال السابقة "الشجيّ الخليّ، التقدّم التندّم، الطرف الظرف". وهذه المتواليّة الموسيقية تفرض نفسها وكأنّ القائل يوجه ضربة واحدة إلى خصمه أو سامعه، وهذا ما يؤيد تفسيرنا السابق لشبوع هذا الجرس في لغة الأمثال المدروسة، وفي ذلك يقول أحد الباحثين: "ألا تتقارب الكلمات ذات القافية بتمائل جزئي للأصوات وبهذا الصدى الذي يولّد مساً أو لقاءً بين المعاني"<sup>(120)</sup>.

وكذلك نلاحظ شبوع لون من التضاد في لغة بعض الأمثال المدروسة وهذا التضاد له أثرٌ نفسيّ بيّن على السامع والمتكلّم معاً، إنّ هذا التضاد يثير في ذهن السامع حركة جدل في الدماغ لأنّ قوانين الجدل هي قوانين العقل في الوقت نفسه، والشيء الملحوظ وقوع التعارض في كلمتي الإلتباع والمزاوجة وغالباً ما يكون في نهاية المثل ممّا يعكس صراعاً داخلياً يدور في ذهن القائل بلّغ ذروته في هذا التضاد الذي يحمله المثل ويكون هذا التعارض بمنزلة محركٍ لخيال السامع بلغ ذروته في هذا التناظر<sup>(121)</sup>. وهذا ما نلاحظه في قولهم:

— "غِيضٌ من فيضٍ"<sup>(122)</sup>.

---

(117) مجمع الأمثال، الميداني 186/1، وفسّره بقوله: أي تقدّم إلى ما في ضميرك قبل تتدّمك.

(118) المدخل إلى فقه اللغة العربيّة، د. أحمد محمد قدّور، ص122.

(119) مجمع الأمثال، الميداني 447/1، لم يذكر حول معناه شيء، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة طرف 213/9 الطرّف: طرف العين. والطرف: إطباق الجفن على الجفن. الطرّف: مادة ظرف 228/9 الظرف: البراعة ونكاء القلب وقيل حسن الهيئة والحدق بالشّيء.

(120) التحليل النفسي والأدب، جان بيلمان نويل، ترجمة حسن المودن، المجلس الأعلى للثقافة، المشروع القومي للترجمة، د.ط 1997، ص30.

(121) مقالات في الشعر الجاهلي، يوسف اليوسف، ص338، بتصرّف.

(122) مجمع الأمثال، الميداني، 12/2، وفسّره بقوله: أي قليل من كثير، الغيظ: النقصان، والفيض: الزيادة.

— "ماله هاربٌ ولا قاربٌ" (123).

— "من لي بالسائح بعد البارح" (124).

— "النفس عزوفٌ ألوفٌ" (125).

فهنا نلاحظ التضاد في هذه الأمثال وقد جاء بمنزلة محركٍ لخيال السامع، فهو يعكس صراعاً داخلياً يدور في ذهن المتكلم بلغ ذروته في هذا التنافر.

وكذلك يمكننا أن نلمح في هذا التضاد نوعاً من التهكم والسخرية التي يوجهها المتكلم إلى المخاطب، ولا سيما أنه يجمع هذين الضدين في ثنائية متوالية يختتم بها المثل؛ لتكون بمنزلة السيف المسلط على الرقاب الذي لا خلاص منه.

أما عن البعد النفسي الذي يمكن ملاحظته وراء ضرب الأمثال في حديث الناس فيمكننا ملاحظته بعد تأمل هذه المجموعة من الأمثال المدروسة:

— "هو الشعار دون الدثار" (126).

— "الهوى من النوى" (127).

— "شمّر وائتر والبس جلد النمر" (128).

— "كالبائع الكبة بالهبة" (129).

— "أهون من صوفةٍ في بوهةٍ" (130).

---

(123) مجمع الأمثال، الميداني، 291/2، وفسره بقوله: القارب: طالب الماء ليلاً، ولا يقال لطالب الماء نهراً ومعنى المثل: ماله صادر عن الماء ولا وارد أي شيء.

(124) المصدر نفسه، 332/2.

(125) المصدر نفسه، 392/2.

(126) المصدر نفسه، 2 / 471 وفسره: الشعار من الثياب ما يلي الجسد، والدثار: ما يلبس فوقه يضرب للمختص بك العالم بدخلة أمره.

(127) المصدر نفسه، 2/475 وفسره بقوله: يعني أن البعد يورث الحب، ومنه يتولد، فإن الإنسان إذا كان يرى كل يوم استحققر وملّ، ولذلك قيل اغترب تتجدد.

(128) المصدر نفسه، 1 / 506 وفسره: يضرب لمن يؤمر بالجد والاجتهاد.

(129) المستقصى، الزمخشري، 2 / 204 وفسره: الكبة: الإبل، والهبة: الريح، يضرب للمغبون في تجارته.

(130) جمهرة الأمثال، العسكري، 2 / 290 وفسره: البوهة: ما طيرته الريح من دقيق التراب، والبوهة أيضاً الرجل الذي لا خير فيه.



إن نظرة تأملية في هذه الأمثال تقودنا إلى استنتاج فكرة جوهرية تميزت بها لغة الأمثال المدروسة بين أيدينا جميعها ألا وهي التوازن في المثل ما بين طرفيه التابع والمتبوع، نجد ذلك في الكلمات (الشعار، الدثار)، (الهوى، النوى)، (شمر، انتر)، (الكبة، الهبة)، (صوفة، بوهة) وهذا التوازن هو معادل موضوعي للتوازن الذي نلمحه بين القائل ونفسه وواقعه من جهة، والقائل والسامع من جهة أخرى، فالأمثال هي "تبرير لحالات متعكسة تدعو لتخفيف المصيبة وتربط الظاهرة الفردية بالقانون النفسي الاجتماعي العام، وفي كونها تجسيداً لحكمة وتجربة لا تخلص من القيمة الأخلاقية"<sup>(131)</sup>.

وكذلك "الأمثال موسوعة تذخر في مستوى قصصها بالتجارب الإنسانية، وبإمكان المتمثل أن يعود في كل حين إليها ويتخذ منها مرجعاً يمكنه من معرفة عاقبة كل تجربة، ومن التكهّن الصائب بمآل تجربته فيلم بما تنتهي إليه مجريات الحياة انطلاقاً من جريان الكلام في الأمثال"<sup>(132)</sup>.

فالمثل يخلق عند القائل نوعاً من التوازن مع نفسه من جهة ومع واقعه من جهة أخرى، فهو بنطق المثل يقف بين طرفين ماضٍ مستمر وحاضر مستمر والقائل يتوسط بين الطرفين، ويحقق القائل كذلك التوازن بينه وبين السامع من جهة أخرى، فهو يستدعي الماضي المستمر إلى الحاضر المستمر بنطقه للمثل، ويدفع به إلى مستقبل ينطوي على اليقين، فيصبح الماضي ذا دلالة، ولا يضيع الحاضر، ويدخل المستقبل في دائرة اليقين المجهول للقائل<sup>(133)</sup>.

### وفيما يلي عرضٌ لأهمّ النتائج التي خلصنا إليها:

- 1 — هناك ترابط وثيق بين كلمتي الإتياع والمزاوجة، فإذا ما نطقنا بالكلمة الأولى نجد الكلمة الثانية تحضر في أذهاننا تلقائياً، فكل واحدة منهما تستدعي الأخرى في ذهن لحظة النطق بها وهذا ما ندعوه بالارتجال.
- 2 — هناك ترابط دلالي بين كلمتي الإتياع والمزاوجة، فالكلمة الثانية جاءت لتؤكد الأولى وتتراوح معها في سياق لغوي فريد.
- 3 — الإيقاعات العنيفة في الأمثال تأتي تعبيراً عن التوتر الذي يعاني منه المتكلم وهذا ما وجدناه في شيوخ التشديد والأصوات الشديدة .

---

(131) التحليل النفسي للذات العربية، د.علي زيعور، ص 90.

(132) وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، ص 182.

(133) الكلمات والأشياء، التحليل البنيوي لقصيدة الأطلال في الشعر الجاهلي، دراسة نقدية، د.حسن البنا عز الدين، دار المناهل، ط1، 1989م، ص 122 بتصرف.

- 4 — كلما كانت الإيقاعات عنيفة عكست عمق الانفعال والتوتر في نفس المتكلم، فهو يختار اللفظة الأقسى للحالة الأقسى.
- 5 — شيوع التضاد في لغة بعض الأمثال يعكس صراعاً داخلياً يدور في ذهن القائل بلغ ذروته في هذا التضاد، ومن جهة أخرى يكون محركاً للخيال عند السامع. وكذلك يمكننا تفسيره بميل القائل إلى التهكم والسخرية من المخاطب، لتكون الثنائية الضدية كالسيف المسلط على الرقاب الذي لا خلاص منه.
- 6 — تميّزت لغة الأمثال المدروسة بالتوازن ما بين طرفيها التابع والمتبوع، وهذا التوازن معادل موضوعي للتوازن الذي نلمحه بين القائل ونفسه وواقعه من جهة، والقائل والسامع من جهة أخرى.
- 7 — سبب شيوع الجرس والإيقاع في لغة الأمثال المدروسة يمكن رده إلى الحداء الذي ألفته ذاكرة العربي في الفيافي الواسعة بصحبة ناقته.
- 8 — الدلالة التي يرمي إليها هذا الجرس المنفرد هي إفحام المتلقي ونفح أذنه بوقع يجعله يقف عاجزاً أمامه منبهرًا بسحره، مقتنعاً بقيمة المثل التي توفرّ عليه التجربة والاستشارة.

### ثالثاً: اللغة المنطوقة والإتباع والمزاوجة:

الكلام نوعٌ خاصٌ من السلوك يخرج به الإنسان من حالة السكون إلى حالة الحركة، إننا لا نكاد نسمع شخصاً يتكلم حتى نستجيب له بالردّ عليه، أي إنّ الكلمات التي تقوّهنا بها نقوم بدور التحريض الصوتي، وهذا التحريض متواصل ومتبادل بين طرفين هما المتكلم والمخاطب<sup>(134)</sup>.

"ومن المعروف ارتباط عملية التلقي الشفهية بالنطق والسمع، وأيضاً ارتباط الأصوات المستخدمة في الإلقاء والجهريّة بما ينطق اللسان من حروف وكلمات وعبارات، وما تستقبله الأذن من هذا وذاك"<sup>(135)</sup>.

وإذا تناولنا اللغة المنطوقة وعلاقتها بظاهرتيّ الإتباع والمزاوجة، فإننا نلاحظ أثراً بيّناً تتركه اللغة المنطوقة في هذه الأمثال. إنّ الأمثال التي نتحدّث عنها هي أمثال انفردت بصيغة لفظية فريدة، وهي وقوع ظاهرة الإتباع أو المزاوجة فيها، وكما بيّنا سابقاً تتميز هذه الثنائية بوقع نغمي خاص يحمل جانباً دلاليّاً، ويلعب دوراً تأكيدياً في المثل.

"إن الاستجابة للتحريض الكلامي قد لا تكون دائماً بالردّ بل تكون أحياناً بتقليد الغير ومحاكاته في الصوت والزبرة كما أنّ التحريض قد يكون ذاتياً كالطفل الذي يردّد نفس الكلمة عدة مرات، إذ تترك الكلمة أثراً صوتياً، فيقوم ذلك الأثر الصوتي بدور المنبه للكلمة اللاحقة، وتترك هذه الكلمة بدورها رنيناً في الأذن، فيستثير كلمة لاحقة وهكذا"<sup>(136)</sup>.

"وسلوكنّا اللفظي يتعلّق بوجود الطرف الثاني في التبليغ، وتتم عملية التبليغ هذه عن طريق الربط بين المنبه والاستجابة، والاستجابة لا تحصل إلّا إذا توفّرت أحد الشروط التالية: شعور المتكلم بدافع قوي.. ووجود منبهات خارجية في الوسط المحيط ورد المخاطب بكلمات تتحوّل إلى منبهات ودوافع للكلام"<sup>(137)</sup>.

كما أنّ "المقام الذي يتم فيه التواصل لا يؤثر فقط، لأن الغرض منه هو التسلية الخارجية، بل لأنه يسمح للمتكلّم بتطبيق إستراتيجية مخطّطه اللغوي تطبيقاً مرناً يستند إلى مراقبة ردود فعل المستمع

---

(134) محاضرات في علم النفس اللغوي، د.حنفي بن عيسى، ص 175، بتصرّف.

(135) الأمثال العربيّة، دراسة نقدية، مصطفى أبو العلا، دار الهدى للنشر والتوزيع، "د.ط. و.د.ت"، ص 28.

(136) محاضرات في علم النفس اللغوي، د. حنفي بن عيسى، ص 176.

(137) المرجع نفسه، ص 189.

ومراجعتها، لأن ردود الفعل هذه تقتضي تغييراً في بناء المعلومات، وفي طريقة بناء الجمل، أو تقتضي إضافات مهمة<sup>(138)</sup>.

واللغة المنطوقة سبقت اللغة المكتوبة منذ القدم حيث: "تري اللسانيات الحديثة على اختلاف مدارسها أنّ اللغة المنطوقة تسبق اللغة المكتوبة وتسوّغ حكمها هذا بأمرين اثنين هما: أنّ اللغة المحكية أقدم وأوسع انتشاراً من الكتابة، وأنّ عودة أنظمة الكتابة كلها إلى وحدات وعناصر من اللغة المنطوقة أمر ثابت"<sup>(139)</sup>.

ونصل إلى فكرة جوهرية وهي الدور الكبير الذي لعبته ثنائية الإلتباع والمزاوجة في حفظ المثل وبقائه في مستودع الذاكرة حتى تدوينه، إنّ هذه الثنائية بما تمتعت به من موسيقية وجرس وتجانس وسجع بين الحروف وتكرارها أسهمت إسهاماً كبيراً في حفظ المثل وذيوعه وانتشاره على ألسنة العوام، إنّ توازن موسيقي فريد، حفظ لنا التراث من الضياع، "إنّ الكلام المنتظم في جمل مفيدة أسهل على الحفظ، ومما يسهّل الحفظ على الطالب اندراج عناصر المقطوعة المطلوب استظهارها في إطار الصيغ اللفظية المعتادة، ومعنى ذلك أنّ الطالب يحاول دائماً أن يربط في ذاكرته شيئاً غير معروف بشيء آخر معروف، وأنّ يعقد بينهما صلة من صلات الترابط... وأكبر دليل على ذلك أنّ حفظة القرآن الكريم ممّن لا يعرفون العربيّة، تراهم في حالة نسيان بعض الكلمات، يلجؤون إلى تكرار الكلمات السابقة بنغمة خاصة على أمل أن يجلب النطق بها الكلمات المنسيّة"<sup>(140)</sup>.

"والأطفال لا يتعلمون معاني الكلمات، ومن ثم لا يتعلمون القواعد من أجل ربط هذه الكلمات مع بعضها بعضاً. بل على العكس من ذلك إنهم يتعلمون سلاسل معينة من الكلمات المنطوقة مع النغمات المعينة وبعض الصفات الخارجة عن اللغة والتي يعرفون بأنها مناسبة تماماً للنطق في أماكن سياقات اجتماعية معينة"<sup>(141)</sup>.

و"الإيقاع عنصر أساسي للأدب الشفاهي... فمن خصائص المثل الشفاهي أو التفكير الشفاهي بناؤه على موسيقى وإيقاع يحفز على الحفظ والتذكر والاستدعاء"<sup>(142)</sup>.

---

(138) نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي سانديرس، ترجمة: د. خالد محمود جمعة، ط1، 2003، ص 88.

(139) المرجع نفسه، ص 73.

(140) محاضرات في علم النفس اللغوي، د. حنفي بن عيسى، ص 233.

(141) اللسانيات وموقفها من اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، د. مازن الوعر، ص 66، مجلة المعرفة السورية تصدرها

وزارة الثقافة والإرشاد القومي، س 25، ع 292، حزيران، 1986.

(142) الأمثال العربيّة، د. مصطفى أبو العلا، ص 40.

"والإيقاع في المثل قوة جذب مغناطيسية تنهض بدور أساسي في تثبيته بالذهن، ويفضي به إلى استعمال دائم وتداول مستمر لأن الأذهان في التخاطب الشفوي تنتبه أكثر على الكلام الطارق للسمع بالتنعيم وتقبل إقبلاً غريزياً على تلقّف الوجيز المسجوع من الجمل" (143).

ويؤكد الفكرة ذاتها باحث آخر أيضاً فيقول: "و يميل التفكير المطول ذو الأساس الشفاهي، عندما لا يكون في شكل شعري، إلى أن يكون إيقاعياً بشكل ملحوظ، لأن الإيقاع حتى من الناحية الفيسيولوجية يساعد على التذكر" (144).

ويقول في موضع آخر مبيناً بما لا يترك مجالاً للشك دور الإيقاع في الثنائية والتجانس والسجع بين الحروف وتكرارها في حفظ المثل واستدعائه بسهولة في الذاكرة "في الثقافة الشفاهية الأولية عليك لكي تحل مشكلة الاحتفاظ بالتفكير المعبر عنه لفظياً واستداعته على نحو فعال أن تقوم بعملية التفكير نفسها داخل أنماط حافزة للتذكر صيغت بصورة قابلة للتكرار الشفاهي، وينبغي أن يأتي تفكيرك إلى الوجود إما في أنماط ثقيلة الإيقاع متوازنة، أو في جمل متكررة أو متعارضة أو في كلمات متجانسة الحروف الأولى أو مسجوعة أو في عبارات وصفية أو أخرى قائمة على الصيغة أو في الأمثال التي يسمعها المرء باستمرار وترد على الذهن بسهولة وقد صيغت هي نفسها على نحو قابل للحفظ والتذكر السهل" (145).

ويقول آخر: "الوزن والإيقاع على ما يقرره علم النفس إنما هما من أهم العوامل التي تسهل على الذاكرة حفظ القطع الشعرية والنثر المسجوع" (146).

"إنّ الإيقاع في بعض الأمثال نظام إضافي يزيد من التأليف بين مكونات التعبير، وتمتدّين اللحمة بينها، ويكسب جملة المثل حصانة تحميها من التلاشي والضياع فيبقى الذهن على فطنته بها، فهو حينئذٍ ليس قاعدة ثابتة ولكنه عنصر مضاف يكسب هذا الصنف طاقة تأثيرية مضاعفة، فيجعل جملة المثل سهلة في النطق، مستساغة في السمع، فإذا كانت كذلك رسخت في الذهن واستحضرها المستعمل بسهولة، فتتال من الخطوة في الاستعمال ما يجعلها تتميز عن غيرها" (147).

---

(143) وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، ص 74.

(144) الشفاهية والكتابية، والترج أونج، ترجمة حسن البنا عز الدين، ص 94، مراجعة د. محمد عصفور، سلسلة عالم المعرفة، الكويت ع 182، شباط، 1994 م، شعبان 1414 هـ.

(145) المرجع نفسه، ص 94.

(146) الحرف العربي والشخصية العربية، حول نشأتها وتكاملها، حسن عباس، دار أسامة، ط1، 1992 م، ص 228.

(147) وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، ص 75.

ويمكننا ملاحظة ما تقدم ذكره جلياً في المجموعة التالية من الأمثال: "النَّفْلَةُ مُتْلَةٌ"<sup>(148)</sup>.

هنا نلاحظ التجانس بين كلمتي المثل في الحروف، فقد تكررت حروف القاف واللام والتاء في الكلمتين، ونلاحظ كذلك السجع والتوافق في حروف الروي بينهما، واتفاقهما في جرس وإيقاع واحد، وهذا كله ساعد في حفظ المثل في مستودع الذاكرة عبر الزمان، واستدعائه بسهولة لحظة الاستشهاد به.

وكذلك قولهم: "هَيْنَ لَيْنٍ وَأُودِتِ الْعَيْنَ"<sup>(149)</sup>.

هنا كذلك نلاحظ التجانس بين كلمتي الإتياع في الحروف، فقد اتفقتا في حرفي الياء والنون، فضلاً عن توافقهما في حرف الروي، وخضوعهما لجرس وإيقاع واحد، وهو ما ساعد في حفظ المثل واستدعائه في الذاكرة بسهولة لحظة النطق به.

وكذلك قولهم: "تَشْتَهِي وَتَشْتَكِي"<sup>(150)</sup>.

هنا أيضاً نلاحظ التوافق بين كلمتي المزوجة في الحروف، حيث اتفقتا في حروف التاء والشين والياء، وتوافقتا في حرف الروي الياء، وغلب عليهما إيقاع وجرس واحد.

وهذا ما نلاحظه في جميع الأمثال المدروسة (أمثال الإتياع والمزوجة) فقد انفردت هذه الأمثال بخصائص جعلتها تتحدى الزمن وتنتصر عليه، وتخلد في ذاكرتنا لتبقى حية على الألسن، تنطق بها بسهولة ويسر، دون أدنى جهد مبذول "إن من أهم طرائق التربية عندنا الحفظ غيباً، ونحن نحب تكرار المأثورات وترداد الطنطنات، والتلذذ بالطرائف والنوادر العربية القديمة، واحترام النص المحفوظ والموروث والمعنى، إننا نعيش في عالم الكلام والصوت، ونتلذذ بجرس اللفظة الحلوة حرباً أو مدحاً، ونقيم فنوناً على الحرف، ونحب النطق أكثر من الاستماع"<sup>(151)</sup>.

---

(148) مجمع الأمثال، الميداني 414/2، لم يذكر حول معناه شيء وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا، مادة نقل 674/11  
النقلة: الانتقال وكذلك النميعة تنقلها، ومثله مادة مثل 11 / 610 المثلة: العقوبة.

(149) أمثال العرب، المفضل بن محمد الضبي، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، ط1، 1981 م، ص 172،  
وفسره بقوله: قالته امرأة عندما دهنت طرف نسعتها واسودت، وعندما سألتها النساء عن الدهن قالت المثل  
وعرفت ماذا أردن بها.

(150) مجمع الأمثال، الميداني، 196/1 وفسره: أي تحب أن تأخذ، وتكره أن يؤخذ منك.

(151) التحليل النفسي للذات العربية، د.علي زيعور، ص 109.

## خصائص اللغة المنطوقة وأثرها في الأمثال المدروسة:

من خلال دراستنا للأمثال التي جُمعت على أساس شيوع ظاهرة الإتياع والمزاوجة فيها، ومعلوم أن الأمثال لغة منطوقة، خرجنا بجملتها من الخصائص يمكننا إدراجها على النحو التالي:

### 1 – الديمومة:

فالأمثال تتناقلها الألسن عبر العصور والدهور، وتخلّدها الذاكرة وتستحضرها في كل مقام: "إنّ للأمثال قوة على البقاء لأنها عصارة تجارب إنسانية، فهي تزخر بالحياة التي عمرت بها على مرّ العصور"<sup>(152)</sup>.

و"لأن المثل العربي شفاهي المنشأ والصيغة والأداء والتلقي، فقد أعطاه ذلك عناصر الحيوية الدائمة والتجدد والأمانة في إعطاء الصورة المنطوقة والصادقة والمعبرة عن المعنى الأصلي"<sup>(153)</sup>.  
"ولا شك أن الحكم السائرة والألغاز والأمثال وما أشبه تتصف بالديمومة و لكنها تكون عادة مختصرة"<sup>(154)</sup>.

وهذا ما يمكن ملاحظته في جميع الأمثال المدروسة ونخصّ بالذكر قولهم:

— "سواء قوله وبوله"<sup>(155)</sup>.

— "آخر الداء العياء الكي"<sup>(156)</sup>.

— "الأقارب هم العقارب"<sup>(157)</sup>.

— "أكثر الأغنياء أغبياء"<sup>(158)</sup>.

---

(152) في الأمثال العربيّة، إبراهيم السامرائي، مطبعة حكومة الكويت، "د. ط و د. ت"، ص 143.

(153) الأمثال العربيّة، د. مصطفى أبو العلا، ص 41.

(154) الشفاهية والكتابية، والترج أونج، ص 249.

(155) مجمع الأمثال، الميداني، 1 / 498 وفسره: يضرب للرجل الجلد المحبوس.

(156) كتاب الأمثال، لمؤلف مجهول، حيث كتب في نهايته: والمرجو من الناظر الخبير إذا عثر على اسم المصنف وأحواله وحالات الكتاب أن يمنّ علينا بالاطلاع عليها، كتبه: أبو الوفاء محمد بن أحمد بن البساک، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ط1، 1351هـ، ص33.

(157) العقد الفريد، ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، شرحه وضبطه: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، ط2، القاهرة 1952، 103/3.

(158) خاص الخاص، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، شرحه وعلّق عليه: مأمون بن محي الدين الجنان، دار الكتب العلمية، ط1، 1994، ص56.

— "الجار ثم الدار" (159).

— "الحركة بركة" (160).

— "الذلة مع القلة" (161).

— "الرفيق قبل الطريق" (162).

ومعظم الأمثال السابقة لا تزال شائعة ومستعملة على ألسنة الناس حتى يومنا هذا.

**2 — التنعيم:** تنتظم الأمثال نغمات مختلفة تتوزع بين صاعدة وهابطة ومستوية أو مسطحة، يتحكم بها الوتران الصوتيان. "وفي الكلام الشفاهي لا بد أن تشمل الكلمة هذا التنعيم أو ذاك، كأن تكون الكلمة حيوية، أو مثيرة، أو هادئة، أو ساخطة، أو مذعنة، أو أيًا ما كانت، فمن المحال نطق كلمة شفاهة دون أي تنعيم" (163).

وهذا ما ينطبق على جميع الأمثال المدروسة\* ونخص بالذكر قولهم:

— "المدح الذبح" (164).

فإذا نطقنا المثل هنا بنغمة صاعدة من الأسفل إلى الأعلى قد يفيد التنعيم معها معنى الاستفهام، وإذا نطقنا المثل بنغمة هابطة من الأعلى إلى الأسفل قد يفيد التنعيم معها معنى التقرير، أو إذا نطقنا المثل بنغمة مستوية فقد نفهم معها معنى الإخبار أو الإثبات.

— "المال مَيّال" (165).

فعندما تنطق المثل بنغمة صاعدة من الأسفل إلى الأعلى فقد نفهم من التنعيم معنى الاستهزاء، وتغيير النغمة لتصبح هابطة من الأعلى إلى الأسفل قد يفيد التنعيم معه معنى التحسر، ونطق المثل بنغمة مستوية قد يخرج التنعيم إلى معنى التقرير.

---

(159) مجمع الأمثال، الميداني 238/1.

(160) المصدر نفسه، 320/1.

(161) جمهرة الأمثال، العسكري، 393/1، وفسره بقوله: أي الذل مع الفقر.

(162) مجمع الأمثال، الميداني 423/1.

(163) الشفاهية والكتابية، والترج أونج، ص 193.

(\*) اعتمدنا في التنعيم هنا الطريقة التي اعتمدها د. تمام حسان في تصنيفه للتنعيم بين نغمة صاعدة وهابطة ومستوية، اللغة العربية معناها ومبناها، ص 426. وسنتعرض له بشيء من التوسع في الفصل القادم.

(164) مجمع الأمثال، الميداني، 310/2، وفسره: أي من مدح وهو يغتر فكأنه ذبح، جعل ضرره كالذبح له.

(165) المصدر نفسه، 375/2.



— العاشية تهيج الأبية<sup>(166)</sup>.

أيضاً هنا إذا نطقنا المثل بنغمة صاعدة من الأسفل إلى الأعلى قد يفيد التنغيم معها معنى التعجب، وتغيير النغمة لتصبح هابطة من الأعلى إلى الأسفل قد يخرج التنغيم إلى معنى الإخبار، أما إذا نطقنا المثل بنغمة مستوية فقد نفهم من المثل معنى الإثبات.

— "سواء علينا قاتلاه وسالباه"<sup>(167)</sup>.

هنا أيضاً نطق المثل بنغمة صاعدة من الأسفل إلى الأعلى قد تخرج التنغيم إلى معنى الاستفهام، وعندما ننطق المثل بنغمة هابطة من الأعلى إلى الأسفل يمكن أن نفهم من المثل معنى التعجب، ونطقه بنغمة مستوية قد تخرج التنغيم إلى معنى التقرير.

### 3 — الإيجاز والاختصار:

وهما من الخصائص التي تلاحظ بوضوح في جميع الأمثال المدروسة.

"الأمثال العربية تتميز بميزتين ظاهرتين أولاهما: الإيجاز وله مظهران تقليل الألفاظ والحذف منها، وثانيهما: القدم"<sup>(168)</sup>.

ويؤكد الفكرة ذاتها باحث آخر فيقول:

"والأمثال هي خير ممثّل للكلام الموجز، وذلك بسبب قدمها واتصالها الوثيق بالأطوار الشفوية في حضارات الشعوب عامة"<sup>(169)</sup>.

ولاحظنا أن معظم الأمثال المدروسة جاءت جملها قصيرة موجزة، تختصر قصة أو حادثة في بضع كلمات ومن ذلك نذكر قولهم:

— "اطلب ذاك وخلاك ذم"<sup>(170)</sup>.

---

(166) أمثال العرب، المفضل الضبي، ص 63، وفسره: العاشية: التي تتعشى تهيج أبي العشاء فيتعشى معها، قالها رجل لابنه عندما جاءه ضيف يطلب الطعام وذهب ابنه ليريح الإبل، فغضب الأب وقال لابنه هلاً كنت عشيتها ساعة من الليل، فقال أبت: إنها أبيت العشاء فقال مثله.

(167) المجهول، ص 68، وفسره بقوله: أي إذا رأيت رجلين قتل أحدهما رجلاً وسلبه الآخر، فهما سواء فيه.

(168) الأمثال العربية القديمة، د. محمد جمال صقر، ص 29.

(169) وظيفة الأمثال والحكم في النثر الفني القديم، ناجي التباب، ص 71.

(170) المستقصى، الزمخشري 224/1، وفسره بقوله: أي جاوزك ولم يلزمك.

قاله أحدهم لعمر بن عدي حين قال له: كيف أقدر على أخذ الثأر من الزبّاء وهي أَمْنَع من عقاب الجو؟ أي اطلب الحاجة بأذلاً جهدك في طلبها ولا عليك إذا لم تقض، يضرب في نفي الذمّ عمّن أعذر في الطلب وإن لم يظفر.

— "صغراهنّ شراهنّ"<sup>(171)</sup>.

قالت امرأة كانت تخرج مع رجل، ويقضيا حاجتهما بعيداً عن بيوت الحيّ، وبينما هي قاعدة، مرّت بها بناتها، فنظرت الكبرى وقالت أُمّي والله، وقالت الوسطى: صدقت والله. فقالت المرأة: كذبتما ما أنا بأُمّ لكما ولا لأبيكما بامرأة، فقالت لهما الصغرى: أما تعرفان محياها وتعلّقت بها وصرخت، فقالت الأم حين رأت ذلك صغراهنّ شراهنّ فذهبت مثلاً.

ومن ذلك قولهم: "الليل أخفى للويل"<sup>(172)</sup>.

أول من قاله سارية بن عويمر العقيلي وذلك أن توبة بن الحمير ضربه ثور بن أبي سمعان بجرز فجرح أنفه ووجهه، فمكن من أخذ حقه فأبى، ثم أن سارية نزل به ثور يوماً مع أصحابه فلما أرادوا الإصباح عنه، قال لهم: أدركوا الليل فإنه أخفى للويل ولا آمن عليكم توبة ثم إن توبة سار خلفهم فقتلهم.

وكذلك قولهم: "الطريف خفيف والتليد بليد"<sup>(173)</sup>.

المثل للقمّان بن عاد قاله عندما خرج يطوف، ووجد امرأة جالسة في ظله ومعها رجل تحدّثه فسلم في المرة الأولى فلم يرد أحد السلام، ثم سلم في الثانية فردّا فقالت المرأة من أنت، قال من بعض هذه البلاد من وادٍ إلى وادٍ، وإنّ مجلسكما لطريف غير تليد، قالت وما أدراك فقال المثل.

فهنا نلاحظ كيف اختصرت هذه الكلمات القليلة قصصاً كبيرة و أوجزت في شرحها.

#### 4 — الشمولية:

حيث نلاحظ في الأمثال المدروسة ميلاً إلى المشاركة الوجدانية المتعدّدة من خلال استخدام ضمير المخاطب والمتكلم والغائب والجمع وقد ظهر ذلك في قولهم: "هو يشوب ويروب"<sup>(174)</sup>.

هنا نلاحظ كيف استخدم القائل ضمير الغائب "هو" وفي ذلك يقول أحدهم:

---

(171) مجمع الأمثال، الميداني 553/1.

(172) المستقصى، الزمخشري، 343/1، وفسره: أي افعل ما تريد ليلاً فإنه أستر لسرك.

(173) جمهرة الأمثال، العسكري، 17/2، وفسره بقوله: أي أن الذي تستجده من الأشياء أحب إليك من الذي طال لبثه.

(174) مجمع الأمثال، الميداني، 472/2، وفسره: الشوب: الخلط، والرأب: الإصلاح، يضرب للذي يخطئ ويصيب.

"إن اختيار ضمير الغيبة ليس موقع المسند إليه الموصوف، فنتضح طريقة الوصف بالمثل التعبيري الذي الموصوف فيه المسند إليه اختياراً موفق، فهو لا يوقعهم في حرج إذ لو جعلوه ضمير تكلم لمدحوا أنفسهم أو ذموا ولو جعلوه ضمير خطاب لمدحوا المتلقي أو ذموا، وفي كل حرج لا يخرجهم منه إلا ضمير الغيبة"<sup>(175)</sup>.  
وكذلك قولهم "قد أحزم لو أعزم"<sup>(176)</sup>.  
هنا كذلك نلاحظ كيف استخدم القائل ضمير المتكلم "أنا" فالمثل هنا يوجهه إلى نفسه ناصحاً أو مذكراً.

وكذلك قولهم: "هريق صبووحهم على غبوقهم"<sup>(177)</sup>.  
هنا كذلك نلاحظ كيف استخدم القائل ضمير الجمع الغائب (هم).  
ومن ذلك قولهم: "إن لم تغلب فاخلب"<sup>(178)</sup>.  
هنا كذلك نلاحظ كيف استخدم القائل ضمير المخاطب (أنت).  
مما تقدم نلاحظ شمولية الأمثال بجلاء، وتوزعها على ضمائر العربية المتعددة وصيغها، فقد تناولت المخاطب والمتكلم والغائب والجمع.

## 5 – اللغة المنطوقة تشمل الأمور اللفظية المتوافقة مع الحركة الإيمائية:

فقائل المثل يمكنه أن يقوم بإحدى الإيماءات المتناسبة مع المثل، يقول أحد الباحثين: "مسار الاتصال اللغويّ مثلاً يمكن أن يتأثر جوهرياً بحركات من مثل: حركة الرأس الراضة أو المؤيدة، حركات اليد الشارحة، النظرات الخاصة، وغيرها من الإشارات الإيمائية وحركات التأشير... واللغة المنطوقة بطبيعتها تستند في قسم أساسي منها إلى هذه الإمكانات التي لا تعرفها اللغة المكتوبة من ناحية، وتصوغ الكلام الشفوي على نحو مميز من ناحية ثانية"<sup>(179)</sup>.

وهذا ما يندرج على جميع الأمثال بوصفها منطوقة.

---

(175) الأمثال العربية القديمة، محمد جمال صقر، ص 47.  
(176) مجمع الأمثال، الميداني، 64/2 فُسّر سابقاً وهنا نذكر به إن عزمت الرأي وأمضيته فأنا حازم وإن تركت الصواب وأنا أراه وضيعت العزم لم ينفعني حزمي.  
(177) المصدر نفسه، 453/2، وفُسّر: يضرب للقوم يذمون على ما ظهر منهم.  
(178) المصدر نفسه، 48/1 وفُسّر: يقال: خلب خلابة وهي الخديعة ويراد به الخدعة في الحرب.  
(179) نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي سانديرس، ص 91.

## 6 – الاستمرارية:

فاللغة المنطوقة تتصف بالإرسال المتواتر الذي لا انقطاع فيه يُخلّ بالمعنى، فالمثل التالي لا يُفهم معناه إلا إذا نطق على النحو التالي:

— "حال صبوحهم على غبوقهم"<sup>(180)</sup>.

فإذا قلنا: حال صبوحهم وسكتنا لم يفهم السامع المعنى المقصود.

وفي ذلك يقول أحدهم: "الإرسال المنطوق إرسال متواتر، مألوف ومستمر، أما الإرسال المكتوب فنادر متقطع إذ تقتضي الكتابة تعمداً أكبر للقيام بها، و جهوداً أعظم للتكيف على موقف مقيّد نسبياً"<sup>(181)</sup>.

## 7 – المباشرة:

فاللغة المنطوقة تعتمد على السياق المباشر بين المتكلم والمخاطب، فإذا غاب المخاطب لم ينطق المتكلم، وإلاّ عدّ ضرباً من الجنون. وهذا ما ينطبق على جميع الأمثال خاصةً أنها تقال في موضع الاستشهاد بقوة الرأي، وإقامة الحجّة على السامع .

وكذلك من الضروري لفهم خصائص البناء اللغوي للمثل شفاهياً أن ينظر إلى المقام الذي ضرب فيه ومن أجله المثل، فليس لهذه الأنواع من هوية سوى في سياقها الثقافي، ونعني بالسياق الثقافي البيئة والمعجم المستخدم في هذه البيئة، وصياغة الألفاظ، وكذلك الأحداث اللغوية المصاحبة لتأليف المثل أو ضربه<sup>(182)</sup>.

## 8 – الانتمائية:

فاللغة المنطوقة ترتبط بالأجداد والحضارة والتراث، وتعكس العادات والتقاليد للجماعات المتعاقبة عبر الزمن<sup>(183)</sup>.

ومن خلال دراستنا للأمثال المختارة اطلعنا على بعض العادات والتقاليد الجاهلية ندرجها على الشكل الآتي:

---

(180) مجمع الأمثال، الميداني 291/1، وفسّره بقوله: يقال حال المال على الأرض حولاً أي انصبّ وأحلتّه أنا: صبيته ومعنى المثل: افقرّوا فقلّ لبنهم فصار صبوحهم وغبوقهم واحداً.

(181) اللسانيات وموقفها من اللغة المنطوقة واللغة المكتوبة، د. مازن الوعر، ص 55.

(182) الأمثال العربيّة، مصطفى أبو العلا، ص 42 بتصرف.

(183) لمزيد من التوضيح ينظر الأمثال العربيّة القديمة مع اعتناء خاص بكتاب الأمثال لأبي عبيد، تأليف: رودلف زلهام، ترجمة وتحقيق رمضان عبد التواب، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، ط1، 1971، ص 8.

## أ — عادة وأد البنات:

يقول أحدهم: "يراد بوأد البنات دفنهنّ أحياء، وكان ذلك من العادات المتفشية عند العرب في الجاهليّة، وكان الباعث عليه إما مخافة العار الذي يلحقهم بسببهنّ إذا سُبّين، وطمع فيهنّ غير الأكفاء، وإما مخافة الفقر والإملاق"<sup>(184)</sup>.

وقد جاءت هذه العادة في قولهم: "تقديم الحرم من النعم"<sup>(185)</sup>.

وعلق قائل المثل عليه قائلاً يعنون البنات وهذا كقولهم دفن البنات من المكرمات<sup>(186)</sup>.

وهذا يؤكد لنا جاهلية هذه العادة وشيوعها آنذاك.

## ب — عادة الأسر:

وردت هذه العادة في قصة المثل: "اسع بجذك لا بكذك"<sup>(187)</sup>.

قالوا: "إنّ أوّل من قال ذلك حاتم بن عميرة الهمداني، وكان بعث ابنه الحسل وعاجنة إلى تجارة، فلقي الحسل قوم من بني أسد، فأخذوا ماله وأسروه وسار عاجنة أليماً ثم وقع على مال في طريقه من قبل أن يبلغ موضع متجره، فأخذه ورجع. فلما رجع تباشر به أهله و انتظروا الحسل فلما جاء إبانة الذي كان يجيء فيه ولم يرجع رابهم أمره، وبعث أبوه أخاً له لم يكن من أمه يقال له شاكراً في طلبه والبحث عنه، ثم إن شاكراً سأل عنه فأخبر بمكانه، فاشتراه ممّن أسره بأربعين بغيراً فلما رجع به قال أبوه: اسع بجذك لا بكذك فذهبت مثلاً"<sup>(188)</sup>.

هذه القصة تعكس لنا عادة الأسر التي كانت شائعة في العصر الجاهلي بجلاء.

ونقع على مثل آخر يُصوّر مكابدة الأسير ومعاناته وهو قولهم: "غلّ قمل"<sup>(189)</sup>.

قال الأصمعي: "إنّهم كانوا يغلون الأسير بالقدّ وعليه الوبر، فإذا طال القدّ عليه قمل فلقى منه جهداً، فضرب لكل ما يلقي من شدة"<sup>(190)</sup>.

---

(184) الأمثال العربيّة، دراسة تاريخية تحليلية، د. عبد المجيد قطامش، دار الفكر، ط1، 1988م، ص 373.

(185) مجمع الأمثال، الميداني، 1/183.

(186) المصدر نفسه، 1/183.

(187) المستقصى، الزمخشري، 1/168.

(188) المصدر نفسه، 1/168.

(189) مجمع الأمثال، الميداني، 2/12.

(190) المصدر نفسه، 2/12.

### ج - عادة القرعة في اختيار القتلى:

يقول أحدهم: "من عادات الملوك عادة القرعة في اختيار ضحاياهم، وهذه العادة تصور لنا فضلاً عن التعسف والجور والظلم تلك النخبوية اللامبالية في نمط السلوك الملوكي الجاهلي إزاء عوام الناس فكأن هؤلاء أرقام لا صلة لهم البتة بجنس البشر، وهذا ما يؤكد لنا الضدية التي تدثر الجاهلي في أكثر مناحيها، حتى لكان الجاهلي نادراً ما عرف الوسط فهو دائماً في الأطراف في غلوه ومبالغته"<sup>(191)</sup>.

وقد ظهرت هذه العادة في قولهم: "من عزّ بز"<sup>(192)</sup>.

وأول من قاله رجلٌ من طيء يقال له جابر بن رألان أحد بني ثعل، وكان في حديثه "أنه خرج ومعه صاحبان له، حتى إذا كانوا بظهر الحيرة وكان للمنذر بن ماء السماء يوم يركب فيه فلا يلقى أحداً إلا قتله، فلقي في ذلك اليوم جابراً وصاحبيه فأخذتهم الخيل بالسوية، فأتى بهم المنذر فقال: اقترعوا فأبكم قرع خلّيت سبيله وقتلت الباقيين، فاقترعوا فقرعهم جابر بن رألان فخلّى سبيله وقتل صاحبيه فلما رأهما يقادان ليقتلا قال المثل"<sup>(193)</sup>.

فهذه القصة عكست لنا عادة جاهلية جائزة ألا وهي القرعة في اختيار القتلى.

### د - عادة وسم الإبل بالنار:

يقول أحدهم: "جرت عادة العرب على أن يميز كل منهم إبله عن إبل غيره، وكان يتم لهم هذا التمييز بوسمها بنار تسمى نار الوسم كانت تختلف من إبل إلى إبل بحيث إذا نظر الناس في هذه النار وهذا الوسم عرفوا أصحاب الإبل ولم يحتاجوا إلى السؤال عنهم"<sup>(194)</sup>.

وقد ظهرت هذه العادة في قولهم: "تجارها نارها"<sup>(195)</sup>.

وعلق القائل: "النار السمة يقال: ما نار هذه الناقة؟ أي ما سمتها فإذا رأيت نارها عرفت نجارها، يضرب في شواهد الأمور الظاهرة التي تدلّ على علم باطنها"<sup>(196)</sup>.

---

(191) صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية من القرن 6 - 9 هـ، 12 - 15 م، د. محمد توفيق أبو علي، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط1، 1999 م، ص 132.

(192) مجمع الأمثال، الميداني، 341/2.

(193) المصدر نفسه، 341/2.

(194) الأمثال العربية، د. عبد المجيد قطامش، ص 382.

(195) مجمع الأمثال، الميداني، 387/2.

(196) المصدر نفسه، 387/2.

## هـ - عادة الرجم بالحصى:

يقول أحد الباحثين: "من المعروف أنّ الرجم بالحصى هو أمر قديم ورد ذكره في التوراة ومن المعروف أيضاً أنه من أركان القصاص الإسلامي، أما في كتب الأمثال فإننا نجد الرجم عقاباً للزنا في الجاهلية"<sup>(197)</sup>.

وقد ظهرت هذه العادة في قولهم: "صغراهنّ شراهنّ"<sup>(198)</sup>.

ويروى صغراها شراها ويروى مراها ويعلق عليه القائل: "أول من قاله امرأة كانت في زمن لقمان لها زوج يقال له الشجي وخليل يقال له الخلي فنزل لقمان بهم، فرأى هذه المرأة ذات يوم انتبذت من بيوت الحي فارتاب لقمان بأمرها فتبعها فرأى رجلاً عرض لها ومضياً جميعاً وقضياً حاجتهما، ثم إن المرأة قالت للرجل: إني أتماوت فإذا أسندوني في رجمي فأنتني ليلاً فأخرجني ثم اذهب إلى مكان لا يعرفنا أهله. فلما سمع لقمان ذلك قال: "ويل للشجي من الخلي"<sup>(199)</sup>.

ثم رجعت المرأة إلى مكانها وفعلت ما قالت... ثم إن الناس اجتمعوا فعرفوها فرفعوا القصة إلى لقمان بن عاد وقالوا: اقض بيننا... فأخبر لقمان الزوج بما عرف وأقبل على المرأة فقصّ عليها قصتها كيف صنعت، فقيل للقمان: احكم فيها، فقال: ارجموها كما رجمت نفسها في حياتها فرجمت، والمعنى ذاته نجده في قولهم: "صغراهنّ مراهنّ"<sup>(200)</sup>.

## و - عادة التزين في الحرب:

وهذا ما ظهر في قولهم: "حنّت فلا تهنت"<sup>(201)</sup>.

وقد جاء في قصة هذا المثل أن عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تميم - وكان يُلقَّب مقروعاً - عشق الهيجمانة بنت العنبر بن عمرو بن تميم، فطرد عنها، فجاء الحارث بن كعب بن زيد مناة ليدفع عنه، فضرب على رجله فقطعت، فسمي الأعرج، وسار عبشمس في بني سعد إلى العنبر يطلبون حقهم في رجل الأعرج، فأبوا عليهم فيه، فقال عبشمس لأصحابه: إن راح إليكم مازن مترجلاً متزيّناً فأبأسوا من العقل، وإن جاءكم أشعث خبيث النفس فارجوه، فراح إليهم في ثياب وهيئة، فتحدث إليهم، فلما انصرف سمع عبشمس رجلاً من أصحاب مازن ينشد بيتاً من الشعر، فعلم عبشمس الشرّ، فلما أظلم

---

(197) الأمثال العربية والعصر الجاهلي، دراسة تحليلية، د. محمد توفيق أبو علي، دار النفائس، ط1، 1988، ص306.

(198) مجمع الأمثال، الميداني، 553/1.

(199) المصدر نفسه، 553/1.

(200) أمثال العرب، المفضل الضبي، 168.

(201) جمهرة الأمثال، العسكري، 319/1.

رجل وترك قَبْته قائمة، فطلب مازن فلم يقدر عليه، ثم غزاهم عبشمس، فنزل بهم في ليلة ذات برق ورعد، فلمعت برقّة، فرأت الهيجمانه ساقى عبشمس، فقالت لأبيها: والله لقد رأيت ساقى مقروع، فسمعها مازن فقال: حنّت فلا تهنّت فأرسلها مثلاً<sup>(202)</sup>.

ويقول أحد الباحثين: ولعلنا نجد لعادة التزين في الملبس إشارة إلى إعلان الحرب احتمالات أربع:

1 — هذه العادة تجسّد مظهراً انفصامياً يعترى الشخصية الجاهليّة وهذه الحالة الانفصامية هي التي تجعل في الحرب الكريهة موئلاً فرح.

2 — أن المجتمع الجاهلي يبدو متأهباً للحرب ناظراً إليها على أنها مدعاة طمأنينة تقيه الترهل.

3 — أن هذه العادة تفصح عن ذاتية المجتمع الجاهلي الممزوجة بسادية عميقة قوامها التلذذ بروية الدم.

4 — تفضي إلى تلمس مركبات نفسية وعقد كثيرة مرتبطة ببنية التقاليد الاجتماعية ليصبح التزين صورة معبرة عن الفرح الكامن في أعماق النفس أملاً بقرب التشفي وأخذ الثأر<sup>(203)</sup>.

## 9 — التصويرية:

فاللغة المنطوقة ولأسيما الأمثال تصوّر لنا بعض المعتقدات والأفكار الاجتماعية التي كانت سائدة في الجاهلية، وقد تعرفنا العديد من هذه المعتقدات من خلال دراستنا للأمثال المختارة، ومن ذلك نذكر:

### أ — الزجر والعيافة والطيرة:

فالزجر والعيافة هنا هما التفاؤل بأسماء الطير والوحش وأصواتها ومساقطها وممرها أو التشاؤم. والعيافة هي زجر الطير والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها<sup>(204)</sup>.  
وقد عكس هذا الاعتقاد قولهم: "من لي بالسانح بعد البارح"<sup>(205)</sup>.

---

(202) جمهرة الأمثال، العسكري، 234/1 بتصرف.

(203) صورة العادات والتقاليد والقيم الجاهلية في كتب الأمثال العربية، د. محمد توفيق أبو علي، ص 155 بتصرف.

(204) الأمثال العربية، عبد المجيد قطامش، ص 388 بتصرف.

(205) مجمع الأمثال، الميداني، 332/2.



وعلق عليه القائل: "السانح من الصيد ما جاء عن شمالك فولاك ميامنه، والبارح ما جاء عن يمينك فولاك مياسره. وأصل المثل: أن رجلاً مرّت به ظباء بارحة، والعرب تتشائم بها فكره الرجل ذلك فقيل له: إنها ستمر بك سانحة فعندها قال من لي بالسانح بعد البارح"<sup>(206)</sup>، يضرب مثلاً في اليأس عن الشيء. فهذا المثل بيّن لنا بوضوح شيوع هذا الاعتقاد الجاهلي بين العرب في الماضي.

## ب - الحج:

كان الحج معروفاً عند العرب منذ عهد إبراهيم و إسماعيل عليهما السلام، وتؤكد الأمثال أن العرب في الجاهلية كانوا يحجون وكانوا يطوفون حول الكعبة عراة كما نعلم، وقد ظهر ذلك في قولهم: "ما حج ولكنه دج"<sup>(207)</sup>.

ويقال هم الحاج والداج قالوا: الأعوان والمكّارون<sup>(208)</sup>.

وكذلك قولهم: "لجّ فحجّ"<sup>(209)</sup>.

وعلق عليه قائلًا: "أي نازع خصمه فحملة اللجاج على أن غلبه بالحجة، ويقال بل معناه أن رجلاً خرج يطوف في البلاد فاتفق حصوله بمكة فحجّ من غير رغبة منه فقيل: لجّ في الطواف حتى حجّ، قال أبو عبيد: يضرب للرجل يبلغ من لجاجته أن يخرج إلى شيء ليس من شأنه"<sup>(210)</sup>.

وكذلك قولهم: "الحاج والداج"<sup>(211)</sup>.

وعلق عليه: "الحاج الذي يزور البيت، والداج الذي يخرج للتجارة، يقال ما حجّ ولكنه دجّ، وقيل: الداج: الذين يدبون في أثر الحاج"<sup>(212)</sup>.

## ج - الجنّ:

وقد ظهر في قولهم: "ريح حزاء فالنجاء"<sup>(213)</sup>.

---

(206) مجمع الأمثال، الميداني، 232/2.

(207) المصدر نفسه، 311/2.

(208) المصدر نفسه، 311/2.

(209) المصدر نفسه، 191/2.

(210) المصدر نفسه، 191/2.

(211) جمهرة الأمثال، العسكري، 311/1.

(212) المصدر نفسه، 311/1.

(213) مجمع الأمثال، الميداني، 405/1.

وعَلَّقَ عليه قائلاً: الحزاء نبت ذفر يتدخّن به للأرواح يشبه الكرفس، يزعمون أن الجن لا تقرب بيتاً هو فيه، يضرب للأمر يخاف شره فيقال: اهرب فإن هذا ريح شر، والنجاء: الإسراع.

يقول أحدهم: "من هذا المثل نستنتج أنهم كانوا يتصورون الجنّ على غرار البشر أو الدواب، فهم يختارون هذا النبت "الذفر" لكي ينفروه، وهو نبت سام إذا أكلت منه الدواب تنفق، ورائحته مزعجة خصوصاً إذا أحرق، ولعلمهم كانوا يتصورون الأمر نفسه بالنسبة إلى الجن"(214).

#### د - الحياة بعد الموت:

ظهرت في بعض الأمثال المدروسة إشارات بسيطة تكشف عن اعتقاد الجاهلي بوجود حياة بعد الموت وقد ظهر ذلك في قولهم: "المنايا على البلىا"(215).

وعَلَّقَ عليه قائلاً: "البليّة: الناقة يغطى وجهها وتشد على قبر صاحبها إذا مات لا تسقى ولا تعلف حتى تموت، وكانوا يقولون إذا فعلوا ذلك يركبها صاحبها في عرصة القيامة"(216).

هذه الإشارة التي وردت في هذا المثل قد تعكس هذا الاعتقاد الذي كان سائداً قبل الإسلام.

وكذلك من ناحية أخرى كانوا يعتقدون بحتمية الموت وأنه لا مفرّ منه وقد ظهر ذلك في قولهم: "أتى أبْدُ على أُبْد"(217).

والأبْد: الدهر، ولُبْد: النسر السابع من نسور لقمان بن عاد، وكان يأخذ النسر صغيراً فيما زعموا فيربيّه حتى يكبر، فإذا مات أخذ نسرأ آخر، حتى استكمل عمر سبعة أنسر، وكان لُبد سابعاً، ويقال إن النسر يعيش أربعمئة سنة(218).

وكذلك قولهم: "إذا جاء الحَيْنُ حارَ العين"(219). والحين: هو الأجل.

وكذلك قولهم: "حالَ الأجلُ دون الأمل"(220).

فهذه الأمثال تؤكد لنا شيوع الاعتقاد في ذلك العصر بحتمية الموت والتسليم بذلك.

---

(214) الأمثال العربية والعصر الجاهلي، د.محمد توفيق أبو علي، ص 262.

(215) جمهرة الأمثال، العسكري، 2 / 219.

(216) المصدر نفسه، 2 / 219.

(217) المصدر نفسه، 1 / 113.

(218) المصدر نفسه، 1 / 113.

(219) المصدر نفسه، 1 / 106.

(220) مجمع الأمثال، الميداني، 1 / 184.

وأما عن الأفكار الاجتماعية التي كانت سائدة في العصر الجاهلي، فنخص بالذكر هنا علاقة الرجل مع المرأة التي عكستها لنا بعض الأمثال المدروسة ومن ذلك قولهم: "لم يكن وماق ففراق"<sup>(221)</sup>. وأما قصة المثل فهي أن عامراً بن الضرب العدواني زوج ابنته من ابن أخيه لكنها ما لبثت أن عادت إلى منزل أبيها، فطلب من زوجته أن تنصح ابنتها بالنصائح التالية: مري ابنتك أن لا تنزل مفازة إلا ومعها ماء فإنه للأعلى جلاء وللأسفل نقاء، وأن لا تمنعه شهوته فإن الخطوة المرافقة وأن لا تطيل مضاجعته فإنه إذا ملّ البدن ملّ القلب<sup>(222)</sup> ولكن بعد أشهر أتت البنت مضروبة، فهنا نجد الحكمة في موقف عامر بن الضرب من ذلك فقد أنب ابن أخيه على ضربه للبنت، واعتبر الضرب إهانة وإذلالاً لها مبيناً أن العلاقة الزوجية ينبغي أن تتبنى على الوفاق أي المحبة، وإذا لم يتوفر هذا العنصر فمن الأفضل أن يقع الفراق، وتنتهي القصة بالخلع وهو أن يقع الفراق مع بذل من المرأة للرجل وهذا الحدث على حسب ما ذكره الزمخشري هو أول خلع كان في العرب. وكذلك قولهم: "إلا حظية فلا ألية"<sup>(223)</sup>.

وعلق عليه القائل: "الألية من الألو وهو التقصير، فالمرأة هنا تسعى إلى امتلاك الخطوة لدى زوجها بالقيام بشؤونه وشؤون المنزل، ولكن رغم نجاحها في خدمة زوجها لم تكن محظية عنده. يقول أحد الباحثين: "تستنتج من هذا المثل أن المرأة كانت ظلاً للرجل حريصة على خدمته، في حين كان الزوج لا يقيم وزناً لأتعب الزوجة وتوددها له، ولذلك كانت معاملته لها تتصف بالغلظة والجفاء"<sup>(224)</sup>.

إن هذه الأمثال عكست لنا فكرة اجتماعية تجسدت في علاقة الرجل مع المرأة المبنية على أساس الزواج، وبيّنت تلك الأمثال سوء معاملة الرجل للمرأة، وظلمه لها.

### وفيما يلي عرض لأهم النتائج التي خلصنا إليها:

- 1 — لعبت ثنائية الإتياع والمزاوجة دوراً في حفظ المثل وذبوعه وبقائه في مستودع الذاكرة بما تمتعت به من موسيقية وجرس وتجانس بين الحروف وتكرارها.
- 2 — للأمثال العربية خصائص تميزها عن اللغة المكتوبة أبرزها الديمومة والاختصار والتنغيم والاستمرارية.
- 3 — كشفت لنا الأمثال المدروسة مجموعة من العادات والتقاليد والمعتقدات التي كانت سائدة في الجاهلية.

(221) المستقصى، الزمخشري، 1 / 375.

(222) المصدر نفسه، 1 / 375 بتصرف.

(223) مجمع الأمثال، الميداني، 1 / 29.

(224) في بنية الأمثال العربية القديمة ودلالاتها، مساهمة في إنشائية أدب الأمثال، د. الحبيب العوادي، ط1، تونس 2006 م، ص50.

## رابعاً: الاقتصاد اللغوي والأمثال:

**الاقتصاد اللغوي:** "هو السعي الدائب لتحقيق التوازن بين الاحتياجات المتضاربة والتي لا بدّ من تلبيتها، فمن جانب هناك الإبلاغ وهناك من جانب آخر خمول الذاكرة والنطق معاً وبينهما صراع دائم" (225).

وسنحاول فيما يلي تتبّع أهم مظاهر الاقتصاد اللغوي التي تجلّت في بعض الأمثال يمكننا ترتيبها على النحو الآتي:

### 1 – محاولة التخلص من الهمز في بعض الأمثال:

وفي هذا يقول أحد الباحثين: "تميل اللغة في تطورها نحو السهولة والتيسير، فتحاول التخلص من الأصوات العسيرة وتستبدل بها أصواتاً أخرى، لا تتطلب مجهوداً عضلياً كبيراً، وصوت الهمز عسير النطق، لأنه يتم بانحباس الهواء خلف الأوتار الصوتية، ثم انفراج هذه الأوتار فجأة، وهذه العملية تحتاج إلى جهد عضلي كبير" (226). ويقول آخر: "واللغة العربية تنزع في تطورها كسائر اللغات إلى السهولة والتيسير، ولذلك تراها في ابتغاء التوفير للجهد الذهني والعضلي للإنسان، تتخلّى عن كثير من التفرّعات المعقّدة، والأنظمة التعبيرية المختلفة، والصيغ الشكلية المجهدّة، والأصوات العسيرة النطق" (227).

ومن الأمثال التي لوحظ فيها محاولة التخلص من الهمز قولهم:

— "إنّه لرباط الجاش على الأغباش" (228).

والأصل في الجاش الجأش بالهمز وهو القلب، ومعنى المثل أنه يربط نفسه عن الفرار لشجاعته، فهنا نلاحظ أنّ قائل المثل قد تخلّص من الهمز لتحقيق التوازن مع الكلمة المزوجة وهي الأغباش، نظراً للجهد الذي يتطلّبه نطق الهمزة.

---

(225) مبادئ اللسانيات العامة، أندريه مارتينييه، ترجمة د. أحمد الحمو، المطبعة الجديدة، "د.ط" دمشق 1985، ص181.

(226) التطوّر اللغوي مظاهره وعمله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دار الرفاعي بالرياض، ط1، 1983م، ص48.

(227) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، د. فخر الدين قباوة، مكتبة لبنان، الشركة العالمية للنشر، ط1، 2001 م، ص30.

(228) مجمع الأمثال، الميداني 73/1. وقال في تفسيره: الجأش: جأش القلب وهو رواعه أي موضع روعه إذا اضطرب عند الفزع، ومعنى رابط الجأش أنه يربط نفسه عند الفرار لشجاعته، والأغباش جمع غباش وهو الظلمة، يضرب للجسور على الأهوال.

— "حَنْتَ فلا تَهَنْتَ" (229).

فالفعل هَنْتَ أصله هَنَأْتُ "بالهمز" ولكنَّ قائل المثل تخلص من الهمزة لتحقيق الازدواج مع الكلمة الأولى "حَنْتَ".

كذلك قولهم: "جِئْ به من حيث أَيْسٌ وليس" (230).

قال الخليل: "ليس إنما كان لا أَيْس فأسقطوا الهمزة وجمعوا بين اللام والياء لأنَّ العرب تقول ائْتَنِي به من حيث أَيْسٌ ولا أَيْس أي من حيث هو ولا هو" (231).

والتخلص هنا من الهمز، لصعوبة النطق به.

وكذلك قولهم: "ذِيَابٌ في ثِيَابٍ" (232).

وواضحٌ من خلال المعنى أنَّ أصل ذِيَاب ذُنَاب بالهمز، والقائل حاول التخلص منه لصعوبة النطق به.

— "صنعة من طبٍّ لمن حبٍّ" (233).

يضرب في الحاجة واحتمال التعب فيها، والأصل فيه أحبّ.

وإنما قال حبٍّ لمزاوجة طبٍّ، وإلّا فالكلام أحبّ وقال بعضهم حبيبته وأحببته لغتان. جاء في لسان العرب في مادة حبيب: "الحبّ: نقيض البغض والحبّ: الوداد والمحبة، وأحبّه فهو محب ومحبوب. وحكى سيبويه حبيبته وأحببته بمعنى" (234).

وكذلك قولهم:

---

(229) جمهرة الأمثال، العسكري 319/1. وفسّره بقوله: يضرب لمن حنَّ إلى مكروه من الأمر، يدعو عليه بالآل يتنهأ به إذا وجده.

(230) المستقصى، الزمخشري، 2 / 36.

(231) المصدر نفسه، 2 / 36.

(232) زهر الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، حقّقه: د. محمد حجّي، ود. محمد الأخضر، دار الثقافة، ط1، 1981، 7/3، وفسّره بقوله: الثياب: جمع ثوب وهذا المثل مشهور في ذمّ الناس وأنهم كالذباب مكرّاً وخداعاً إن كانوا في الصورة خلافها.

(233) مجمع الأمثال، الميداني 1 / 551. وفسّره بقوله: أي اصنع الأمر لي صنعة من طبٍّ لمن حبٍّ، أي صنعة حاذق لإنسان يحبّه.

(234) لسان العرب، مادة حبيب، 289/1.

— "من حَفْنَا أو رَفْنَا فليقتصد"<sup>(235)</sup>، يضرب لمن يبطره الشيء اليسير، وكان الأصل في حَفْنَا أتحفنا فأَتَبَعَ حَفْنَا رَفْنَا<sup>(236)</sup>.

ومن ذلك قولهم: "هو يشوب ويروب"<sup>(237)</sup>.

فالأصل هنا في يروب يروب و لكن القائل تخلص من الهمز لمزاوجة يشوب.  
فهنا نلاحظ أنَّ القائل قد تخلص من الهمز ليحقق المزاوجة مع الكلمة الأخرى ناووس.

## 2 — اللجوء إلى القلب المكاني:

وهو عبارة عن تقديم بعض أصوات الكلمة على بعض لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي<sup>(238)</sup>.

وظهر هذا القلب في بعض الأمثال المدروسة من مثل قولهم:

— "تَلْبَدِّي تصيَّدي"<sup>(239)</sup>.

— "تَلْبَدِّي تصيَّدي"<sup>(240)</sup>.

فهنا نلاحظ المثل وقد جاء بروايتين مختلفتين، وقد وقع قلب فيه بين حرفي اللام والباء، ولاحظنا كيف جاء المعنى مختلفاً في الكلمتين اللتين وقع القلب فيهما، ويؤكد وقوع القلب فيهما، إشارة قائل المثل الثاني "العسكري" إلى رواية المثل الأول ومعناها كما هو موضح في الهامش.

وهذا ما يمكن عزوه إلى اللهجات بين القبائل، وانفراد الكلمة بمعنى عند كل قبيلة.

يقول أحد الباحثين: "والقلب كثير في العربيّة، ومع ذهاب فئة من اللغويين إلى أن مرده إلى اختلاف اللغات، لم يُعْنُوا بنسبته إلى أصحابه، وإنما سردوا ما يقع فيه القلب من الكلمات من غير

---

(235) مجمع الأمثال، الميداني 344/2. وفسره بقوله: يجوز أن يكون حَفْنَا من حفت المرأة وجهها إذا أزال ما عليه من الشعر تزييناً وتحسيناً، ورَفْنَا من رفّ الغزال ثمر الأراك أي تناوله، يريد من تناولنا بالإطراء أو زاننا به فليقتصد.

(236) درّة الغواص في أوهام أهل الخواص، الحريري، ص80-81.

(237) مجمع الأمثال، الميداني، 2 / 472، وفسره: الشوب: الخلط، والرأب: الإصلاح.

(238) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، رمضان عبد التواب، ص75.

(239) مجمع الأمثال، الميداني 175/1، وفسره بقوله: التَلْبَدُّ اللصوق بالأرض لختل الصيد، ومعنى المثل احتل وتمكن وتظفر.

(240) جمهرة الأمثال، العسكري، 1/221، والتَلْبَدُّ: التحير، والبلادة: خلاف الذكاء، وروى ثعلب "أحمد بن يحيى" "اقصيدي تصيَّدي" وقال: يضرب للرجل يعدل عن الحق. أي اطلب الحق تنتفع به. وقيل أصل التَلْبَدُّ أن يضرب إحدى راحتيه على الأرض، والبلدة الراحة وروي أيضاً تَلْبَدِّي تصيَّدي أي التصقي بالأرض. يضرب للذي يظهر التَلْبَدُّ ونيتة الوثبة.

تميّز، ولم ينسبوا منها إلا كلماتٍ يسيرة، منها نأى، وناء، والأولى لغة قريش، والثانية لكثير من الأنصار وهوازن وكنانة وهذيل<sup>(241)</sup>.

### 3 – تكرار أصوات بعينها في مواقع سياقية تحقق التوازن:

من مثل قولهم:

— "الحركة بركة"<sup>(242)</sup>.

— "حرة تحت قرة"<sup>(243)</sup>.

— "حلف بالسمر والقمر"<sup>(244)</sup>.

— "جاء بالصقر والبقر"<sup>(245)</sup>.

— "حافظ على الصديق ولو في الحريق"<sup>(246)</sup>.

— "قد أنصف القارة من رامها وردّ أولها على أخراها"<sup>(247)</sup>.

— "قرع فلان وفتح"<sup>(248)</sup>.

في الأمثال السابقة نلاحظ تكرار حرفي الراء والقاف بشكل ملحوظ، وتشير هذه الملاحظة إلى وجود ارتباط بين سهولة النطق وتكرار الفونيمات، والذي يعزى إلى مبدأ الجهد الأقل على المستوى الفونولوجي<sup>(249)</sup>.

---

(241) لغة قريش، مختار سيدي الغوث، النادي الأدبي بالرياض، ط1، 1992، ص 119.

(242) مجمع الأمثال، الميداني 321/1.

(243) المصدر نفسه، 274/1، وفسره بقوله: الحرة: مأخوذة من الحرارة وهي العطش، والقرة: البرد. ويقال: كسر الحرة بمكان القرة. قالوا وأشدّ العطش ما يكون في يوم بارد. يضرب في الحثّ على رعاية العهد.

(244) المصدر نفسه، 289/1، وفسره بقوله: السمر: الظلمة وإنما سميت سمرًا لأنهم كانوا يجتمعون في الظلمة فيسمرون ثم كثر ذلك حتّى سميت سمرًا.

(245) زهر الأكم، اليوسي، 65/2، وفسره بقوله: أي بالكذب الصّراح، وهو اسم لما لا يعرف، ويقال بالصقّارى والبقّارى.

(246) المصدر نفسه، 283/1، يضرب في الحثّ على رعاية العهد.

(247) المجهول 81، القارة: أربعون رجلاً كانوا مرسومين بحراسة ملوك اليمن ليلاً وكانوا أرمى الناس فأحسوا في ليلة سوداء بحس فأصغوا إليه فرموا نحوه فسكن الحس فوجدوا هرة فيها أربعون سهماً.

(248) كتاب الأمثال لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي، حقّقه وقدم له د. رمضان عبد التواب، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر (د.ط) 1970 م، ص 57.

(249) اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ص306، ترجمة د. أحمد عوض، مراجعة د. عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع 263 تشرين الثاني، 2000م، شعبان 1421.

والمقصود هنا أن تكرار حروف معينة في لغة من اللغات أكثر من أخرى له صلة وثيقة بسهولة النطق من ناحية المخرج، فالراء صوت "يخرج من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان غير أنه أدخل في ظهر اللسان" (250).

أما القاف فمخرجها من "أقصى اللسان وما فوقه من الحنك الأعلى" (251).

#### 4 - اشتراك بعض الأصوات في الصفات وتنوع توزعها فيما بينها:

وهذا يولد تنافراً صوتياً أو ازدواجاً يتطلب اقتصاداً في الأداء. يقول أحد الباحثين: "وقد يجتمع في بعض الحروف أكثر من صفة مشتركة وهذا يمثل ميزة صوتية تُقرب بين الحروف المذكورة وإن اختلفت في المخرج فيكون بينها تبادل أو تفاعل عند التقارب أو المجاورة أو التماس" (252).

ويمكننا أن نستشهد على ذلك بصفتي الإطباق والانفتاح "فأما المُطبقة فالصاد، والضاد، والطاء، والظاء، والمنفتحة كل ما سوى ذلك من الحروف لأنك لا تطبق لشيءٍ منهنّ لسانك ترفعه إلى الحنك الأعلى وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهنّ انطبق لسانك من مواضعهنّ إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف" (253).

ونلاحظ هذا الاشتراك في الصفات في الأمثال عامة، ونخص بالذكر قولهم:

— "اطرح وافرح طفيلي" ومقترح" (254).

وفي هذا المثل نلاحظ اجتماع الصفات التالية في الحروف: فالطاء صوت مجهور شديد مطبق، والجهر انحباس جري النفس عند النطق بالحرف ثم هزّه للوترين الصوتيين عند اندفاعه (255)، أما

---

(250) الكتاب، سيبويه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام هارون، عالم الكتب "د. ط و د. ت"، 4/433.

(251) المصدر نفسه، 4/433.

(252) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، د. فخر الدين قباوة، ص 49.

(253) الكتاب، سيبويه، 4/436.

(254) مجمع الأمثال، الميداني 1/613، لم يذكر حول معناه شيء فيما عدا مناسبة القول، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة طرح 2/528 طرح بالشيء، وطرحه يطرحه طرحاً: رمى به. مادة فرح 2/540 الفرح: نقيض الحزن. مادة طفل 11/404 الطفيلي: هو الذي يدخل على قوم من غير أن يُدعى. مقترح مادة قرح 2/558 الاقتراح: ارتجال الكلام وهو ابتداء الشيء بتبدعه وتقترحه من نفسك من غير أن تسمعه، والمثل يضرب للفضولي.

(255) المدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قُدّور، ص 121.



الحرف الشديد فهو انحباس جري الصوت عند النطق بالحرف انحباساً يعيق مرور النفس تماماً فإذا أزيل الغلق المحكم فجأة أحدث النفس المحبوس صوتاً انفجارياً<sup>(256)</sup>، أمّا الرءاء فـصوت مكرّر منفتح وهو ارتفاع اللسان عند النطق بالحرف<sup>(257)</sup>، وكذلك الحاء صوت منفتح مهموس رخو، والهمس: هو جريان النفس عند النطق بالحرف لضعف الاعتماد على المخرج بحيث لا يهتز الوتران الصوتيان اهتزازاً قوياً<sup>(258)</sup>، والرخاوة: هي جريان الصوت مع الحرف لتمام ضعفه لعدم الاعتماد على مخرجه<sup>(259)</sup>.

فهنا نلاحظ الازدواج في الصفات والتضاد بينهما، فالإطباق في الطاء يقابله الانفتاح في حرفي الرءاء والحاء، والجهر في الطاء يقابله الهمس في الحاء، والشدة في الطاء تقابلها الرخاوة في الحاء. وتوزع هذه الصفات بين الحروف يولّد تنوعاً تنغيمياً يبعدها عن الثقل. فالرءاء فُخِمت بعد حرف الإطباق "الطاء" في قولنا "اطرح" فتأخر مخرجها. وعندما جاور الحرف الشديد "الطاء" صوت الحاء المهموس والرءاء المكرّر المنفتح طال صوت الطاء لتظهر صفاته ويتميز لفظه.

وكذلك اجتمعت في الطاء صفتا الإطباق والجهر، والتكرار والانفتاح في الرءاء، والهمس والرخاوة في الحاء.

## 5 – توزّع الأصوات العربيّة على مدارج واسعة المدى في الجهاز النطقي:

هذه المدارج تمتدّ من قمة الحنجرة إلى مطبق الشفتين، وهذا له أثرٌ واضح في التيسير اللفظي، إذ يفتح مجالاً للتنقل بين مدارج وأحياز متنوعة ومتباعدة، تسهّل النطق والتعبير، ذلك أن توالي الأصوات يستفيد حين الأداء من هذه المدارج بعيداً عن التقارب والتداخل، فيخفّف على المتكلّم كثيراً من الجهد العضلي المطلوب، وهذا مفقود في بعض اللغات الحية، إذ ينحصر أدائها في نطاق ضيق، وهذا يولّد مشقّة ومعاناة في التعبير، بتداخل المخارج وصعوبة تمييز الأصوات الشديدة التقارب<sup>(260)</sup>. ويمكننا تبين ذلك في مثل قولهم: "الدرهم مرّاهم"<sup>(261)</sup>.

(256) المرجع نفسه، ص122.

(257) المرجع نفسه، ص123.

(258) المرجع نفسه، ص122.

(259) المرجع نفسه، ص122.

(260) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، د. فخر الدين قباوة، ص 47، بتصرف.

(261) مجمع الأمثال، الميداني، 1 / 382.

فالدال مخرجها أسناني بين طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، والراء مخرجها لساني بين طرف اللسان وما فوق الثنايا، والألف والهاء مخرجها من أقصى الحلق، والميم مخرجها ممّا بين الشفتين<sup>(262)</sup>.

فهنا نلاحظ في هذه الكلمة توزّع المدارج بين الشفتين والحلق والأسنان واللسان وهذا كلّهُ يُيسر النطق بالحروف ويخفف على المتكلم كثيراً من الجهد العضلي.

## 6 – إبدال بعض الأصوات بأصوات أخرى:

يقول أحد الباحثين: "ومن مظاهر الاقتصاد اللغوي في العربية إبدال حرف بحرف، أو إسقاط حرف من الكلمة، أو اللجوء إلى فونيمات<sup>(263)</sup> أخفّ وأسهل من فونيمات أخرى، واستخدام العامة أو الترميز أو النحت"<sup>(264)</sup>.

ومن الأمثال التي لوحظ فيها إبدال بعض الحروف بأخرى قولهم:

— "أصق الحسّ بالإس"<sup>(265)</sup>.

— "ألق الحسّ بالإس"<sup>(266)</sup>.

هنا نلاحظ الإبدال بين كلمتي "أصق، ألق".

القائل أبدل الصاد حاءً مع أنّ المعنى واحد. فالصاد أسليةٌ والحاء حلقية، والصاد أسهل في النطق من الحاء لأنها تخرج من طرف اللسان وفوق الثنايا السفلى<sup>(267)</sup>، وكذلك قولهم: — "لم يكن وماق ففراق"<sup>(268)</sup>.

---

(262) الكتاب، سيبويه، 4 / 433.

(263) يعد الفونيم أساس التحليل الفونولوجي الحديث، وهو الوحدة الصغرى في هذا التحليل، وقد ظهر هذا المصطلح عام 1873 مع مرحلة رواد الفونولوجيا، وانتقل من فرنسا إلى بلدان أوروبية وأميركية أخرى ليصير واحداً من أهم المباحث الصوتية التي أثّرت الدرس اللساني بالكثير من الآراء "لمزيد من التوضيح انظر: مبادئ اللسانيات د. أحمد محمد قدّور، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، ط2، 1999، ص98.

(264) مدخل إلى معرفة اللسانيات، د. محمد إسماعيل بصل، دار المتنبّي للطباعة والنشر، "د. ط و د. ت" ص75.

(265) جمهرة الأمثال، العسكري 1/131، وفسّره بقوله: ومعناه ألقى الشرّ بأصول الأعادي، تذهب فروعهم بذهاب الأصل. والحسّ القتل المستأصل والأُسُّ: الأصل وهو مثل الأُسِّ.

(266) مجمع الأمثال، الميداني 2/203، يذكر المعنى السابق نفسه.

(267) المدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدّور، ص120.

(268) المستقصى، الزمخشري، 1/375، وفسّره بقوله: أي إن لم يكن حبّ في قرب، فالوجه المفارقة.

— "إن لم يكن وفاق ففراق" (269).

فهنا نلاحظ الإبدال بين حرفي الميم والفاء "وماق، وفاق" فقد أبدل القائل الميم فاءً مع أنّ المعنى واحد. ولعلّ تقارب المخرجين هو الذي أدى إلى هذا الإبدال فكلاهما شفويان يخرج من الشفتين ولكن الفاء من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، أما الميم فمن بين الشفتين معاً<sup>(270)</sup>، ولاشك أن الإبدال هنا كان سعياً وراء الخفة والسهولة في النطق وهو من مظاهر الاقتصاد اللغوي في الأداء.

وكذلك نلاحظ الإبدال في قولهم:

— "لا يعرف الحيّ من اللّي" (271).

— "ما يعرف الحوّ من اللوّ" (272).

وهنا نلاحظ الإبدال<sup>(273)</sup> بين حرفي الياء والواو مع أنّ المعنى واحد، ويمكننا إرجاع ذلك إلى كثرة الاستعمال وورود الأمثال على الألسنة بكثرة، أو اختلاف اللهجات بين القبائل، والدافع له في كل ذلك السعي وراء الخفة والسهولة في النطق.

يقول أحد الباحثين: "أهل الحجاز يبدلون الواو ياءً في (قلنسوة)، فيقولون (قلنسية) وهما في الفصاحة سواء ويعكسون الأمر في (قنوان) فهو عندهم بالواو، وتميم وقيس وضبة يجعلونه بالياء (قنيان)" (274).

## 7 — شيوخ الحذف في الأمثال:

يقول أحد الباحثين: "لا يجوز عدّ ما يرد في الكلام العفوي الارتجالي من تراكيب مختزلة خطأً نحويّاً والنظر إليها من منظور المعيار اللغوي، إنّما ينبغي الانطلاق من معيار الاقتصاد في اللغة ثم الحكم عليها من منظور الرغبة في التعبير عن الأفكار بأيسر السبل وأقربها إلى الفهم" (275)، وقد ظهر الحذف في بعض الأمثال ومن ذلك قولهم:

---

(269) مجمع الأمثال، الميداني، 70/1، ويذكر المعنى السابق نفسه.

(270) المدخل إلى فقه اللغة العربية، د. أحمد محمد قدور، ص 121.

(271) جمهرة الأمثال، العسكري، 320/2، وفسره بقوله: الحيّ: الكلام الظاهر، واللّي: الكلام الخفي، يقال ذلك للأحمق الذي لا يعرف شيئاً، وقيل: الحيّ: الحق، واللّي: الباطل.

(272) مجمع الأمثال، الميداني، 313/2، فُسّر سابقاً.

(273) نكتفي هنا بعرض هذه المجموعة من الأمثلة شواهد على الاقتصاد اللغوي والسعي وراء الخفة والسهولة في الأمثال، وسنعرض للإبدال بشيء من التوسع في فصل قادم مع شواهد أخرى.

(274) لغة قريش، مختار سيدي الغوث، النادي الأدبي بالرياض، ط 1، 1992م، ص 136.

(275) نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي ساند يرس، ص 83.

— "إِلَّا حَظِيَّةٌ فَلَا أَلِيَّةٌ"<sup>(276)</sup>.

وهنا حذفت كان مع خبرها على تقدير: حَظِيَّةٌ — أَلِيَّةٌ، وحذفت كان مع اسمها على تقدير: حَظِيَّةٌ، أَلِيَّةٌ ويكون التقدير: إن لا أكن عند زوجي حظية فلا أكون ألية. وأما تقدير رواية الرفع: إن لا تكن له في الناس حظية فأني غير ألية<sup>(277)</sup>.

وكذلك حذف خبر لا النافية للجنس في قولهم:

— "لا أصل له ولا فصل"<sup>(278)</sup>.

فهنا حذف خبر لا النافية للجنس لمنع التكرار.

وكذلك قولهم: "لكل ساقطة لاقطة"<sup>(279)</sup>.

فهنا حذف المضاف سعيًا وراء الخفة والاقتصاد في الجهد العضلي والتقدير لكل ساقطة أذن لاقطة.

ونكتفي بهذا القدر من مواطن الحذف في الأمثال، للدلالة على الاقتصاد اللغوي، حيث سنعرض له بشيء من التوسع في فصل الدراسة النحوية.

## 8 — تكرار مقاطع<sup>(280)</sup> صوتية معينة تمتاز بالخفة والسهولة:

ونذكر من ذلك قولهم: "كما تدينُ تدان"<sup>(281)</sup>.

يتألف من المقاطع:

كَ	مَا	تَ	دِي	نُ	تَ	دَا	نُ
ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح	ص ح	ص ح ح	ص ح

(276) مجمع الأمثال، الميداني 29/1، وفسره بقوله: مصدر الحظية الحظوة والحظوة والحظة والألية: فعيلة من الألو وهو التقصير، ونصب حظية وألية على تقدير إلا أكن حظية فلا أكون ألية.

(277) الأمثال العربية، د. عبد المجيد قطامش، ص 231. بتصرف

(278) مجمع الأمثال، الميداني 250/2، الأصل: النسب، والفصل: اللسان يعني النطق، ولم يذكر مناسبة القول.

(279) المصدر نفسه، 185/2.

(280) المقطع: إيقاع صوتي، يمثل مجموعة من العناصر التي تنتج من خففة صدرية لغوية، أي من ضغطة للحجاب الحاجز على الرئتين للتصويت، ينشأ عنها جهد عضلي يتصاعد ثم يهبط ثم ينعدم "الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، د. فخر الدين قباوة، ص 54.

(281) مجمع الأمثال، الميداني 132/2، وفسره بقوله: أي كما تُجَازِي تُجَازَى. يعني كما تعمل تجازى إن حسناً فحسن وإن سيئاً فسيء.

— "كلّ مبذولٍ مملول" (282)، يتألف من المقاطع:

كُلُّ	لُ	مَبْ	ذو	لنْ	مَمْ	لو	لنْ
ص ح ص	ص ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ص	ص ح ح	ص ح ص

— "ما عدا ممّا بدا" (283).

ما	عَ	دا	مم	ما	ب	دا
ص ح ح	ص ح	ص ح ح	ص ح ص	ص ح ح	ص ح	ص ح ح

ومن خلال ملاحظتنا للمقاطع التي تتألف منها كلمات الأمثال السابقة نجد أنّ أكثر المقاطع شيوعاً المقطع الطويل المفتوح "ص ح ح" الذي ينتهي بأحد حروف المد "ا — و — ي" ثم يأتي المقطع الطويل المغلق "ص ح ص" في الدرجة الثانية، وهما يمتازان بالخفة والسهولة لسلاسة التصويت فيهما وفي ذلك يقول أحد الباحثين: "والشائع الكثير الاستعمال هما المقطعان المتوسطان، ويمتازان بأنهما أخفّ المقاطع جهداً" (284).

ويقول في موضع آخر: "المقطع المتوسط هو المسيطر" لأنه الأيسر في النطق، والمطاوع للاقتصاد العلاجي" (285).

وكذلك تتوّع النسيج المقطعي في الكلمات يسهل على اللسان متابعتها، بأقل ما يمكن من الجهد العلاجي وهذا ضرب من الاقتصاد عظيم (286).

## 9 — شيوع ملحوظ للنبر والتنغيم:

"فالتنغيم الذي يتولّد عن تلوّن النبر عامة، يبيث في الكلام نبضات مختلفة القوة والضعف، متفاوتة الأشكال والمستويات، فيؤسّر على جهاز النطق تنقلاً بين موجات متساوقة تستبعد الرنوب والتكؤ

---

(282) المصدر نفسه، 139/2، وفسّره بقوله: أي كل ما مُنِعَه الإنسان كان أحرص عليه.

(283) المصدر نفسه، 328/2، وفسّره بقوله: أي ما منعك ممّا ظهر لك أولاً، قاله علي بن أبي طالب كرم الله وجهه للزبير بن العوام رضي الله عنهما يوم الجمل، يريد ما الذي صرفك عما كنت عليه من البيعة وهذا متصل بقوله: عرفتني بالحجاز وأنكرتني بالعراق فما عدا ممّا بدا.

(284) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، د. فخر الدين قباوة، ص 55، وهنا يستخدم قباوة لفظة المقطع المتوسط بدلاً عن الطويل.

(285) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، فخر الدين قباوة، ص 107.

(286) المرجع نفسه، ص 58، بتصرف.

والملال، بالتردد في حيز ضيق محدود، وتتيح لدقات النفس الانسياب، ولجميع أعضاء النطق تبادل العمل بتعاون وانسجام<sup>(287)</sup>.

ويقول باحث آخر: "إيقاع التنفس يتغير في الكلام لأن الكلام المستمر لن يكون ممكناً بغير هذا، فلأجل منع انقطاع تيار الكلام يتغير إيقاع التنفس بطريقة معينة بحيث إن اللحظات التي يؤخذ فيها النفس تتوافق مع الفواصل النحوية للمنطوق، أي أنها تتزامن مع بنية المنطوق.

وهذا يعني أن ضبط التنفس بوجهه التخطيط لبنية المنطوق في كل من تزويد جهاز النطق بالطاقة والوقت المستغرق لإنتاج المنطوقات، وهذا في الواقع إجراء اقتصادي للغاية<sup>(288)</sup>.

والتنغيم يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنبر وهذا ما نلاحظه في قولهم:

— "أُتلف من سلف"<sup>(289)</sup>.

فالنبر هنا على المقطع الثالث "من اليسار إلى اليمين" وهو "أُت" قد يخرج التنغيم إلى معنى التقرير، وتغيير المقطع المنبور يغير التنغيم، وتغيير التنغيم يغير المعنى فإذا ما نبرنا المقطع الثاني "أُت" فإن التنغيم قد يخرج إلى معنى الاستهزاء.

وكذلك قولهم:

— "ما عنده شوب ولا روب"<sup>(290)</sup>.

والنبر هنا على المقطع الثاني قد يخرج التنغيم إلى معنى الإخبار "شو" وتغيير المقطع المنبور ليصبح على المقطع الأول "شوب" قد يخرج التنغيم إلى معنى الاستهزاء والسخرية، والنبر في المثالين السابقين هو نبر صرفي، وهناك نبر من جهة المعنى يُسمى نبراً دلالياً يقوم على زيادة النبر لبعض مقاطع الكلمة مع ارتفاع في نطقها، فالزيادة تقيد التوكيد للمعنى المراد، فزيادة الصوت في كلمة أُتلف تؤكد معنى التلف دون غيره، وزيادة الصوت في كلمة شوب تؤكد نفي الشوب أكثر من الروب، وانتقاله إلى الروب يؤكد النفي في الروب أكثر من الشوب، فأنت تنبر الكلمة التي يقتضي الموقف تضخيمها وإظهارها بين سائر الكلمات لأنها مناط التوكيد<sup>(291)</sup>.

---

(287) المرجع نفسه، ص 69.

(288) اللغة والاقتصاد، فلوريان كولماس، ص 291.

(289) الدرة الفاخرة، الأصيهاني، 97/1.

(290) مجمع الأمثال، الميداني، 321/2، وفسره بقوله: الشوب: العسل، الروب: اللبن الرائب.

(291) مناهج البحث في اللغة، د. تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، د. ط 1990، ص 163.

ويمكننا تلمّس مظاهر الاقتصاد اللغوي فيما سبق ذكره، بما يولّده التنغيم من نبضات في الكلام مختلفة القوة والضعف بحسب النبر، وهذا يُيسّر على جهاز النطق التنقل بين موجات صوتية متعددة ومختلفة، تبتعد عن الرتابة والملل، وتعطي لجهاز التنفس فسحة من التدفق والانسياب بين الشهيق والزفير فضلاً عن دورها في الإغناء عن تكرار الكلمات، فالنبر الدلالي، يغني عن تكرار تلك الكلمات، لأنه يُفيد تأكيد المعنى المراد، بمجرد النبرات المتدفقة فهو بديل من تكرار تلك الكلمات كما هو معروف في التوكيد اللفظي<sup>(292)</sup>.

## 10 – التخلّص من التفرّيعات الكثيرة، والأنواع المختلفة للظاهرة الواحدة:

فنحن نعلم أنّ العربيّة الفصحى تملك ثلاث علامات تأنيث هي: التاء، الألف المقصورة، الألف الممدودة، فقد ضاعت العلامتان الثانية والثالثة وحلّت محلّهما العلامة الأولى في بعض الأمثال المدروسة<sup>(293)</sup>، ومن ذلك قولهم:

— "لقيته صحرة بحرة"<sup>(294)</sup>.

يقول الميداني: هما اسمان جعلاً اسماً واحداً، وأصل صحرة من الصحراء وهو الفضاء، وأصل بحرة من البحر وهو الشق الواسع ومنه سمي البحر لأنه شق من الأرض، فهنا نلاحظ ميل القائل إلى التخلّص من المد في صحراء لتصبح تاءً، وكذلك قولهم: "أحسن من بيضة في روضة"<sup>(295)</sup>، وهنا نرى أيضاً ميل القائل إلى التخلّص من المد في "بيضاء" لتصبح تاءً سعياً وراء الخفة والسهولة.

يقول أحد الباحثين: "وفي هذا الاختصار للتفرّيعات، اقتصاد للجهد الذهني، إذ يستغني ابن العربيّة عن كثير من المواد الجديدة البعيدة عن مألوفة، ويبقى في أحياز متداولة ميسرة يستوعبها مما تحتمله التراكيب في ضم الحروف بعضها إلى بعض، لتبقى تلك المهملات رصيذاً احتياطياً، ينتظر ما يناسبه من المقاصد الجديدة البعيدة عن المألوف فيستعمل حينذاك. ثم في هذا أيضاً اقتصاد للجهد العلاجي، إذ يستخدم المتكلم من التراكيب ما هو محدود في أحرف قليلة"<sup>(296)</sup>.

---

(292) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفرد، د. فخر الدين قباوة، ص 69، بتصرّف.

(293) التطوّر اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه، د. رمضان عبد التواب، ص 55.

(294) مجمع الأمثال، الميداني، 189/2. وفسّره بقوله: أي خالياً ليس بيني وبينه حاجز.

(295) التحفة الأدبية في الأمثال العربيّة، نصري قصير، مطبعة العصر التاسع عشر "د. ط و د. ت" ص 180.

(296) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفردة، د. فخر الدين قباوة، ص 37.

## 11 – استخفاف بعض الأصوات، يمكننا تتبع أنماط الاستخفاف في الأصوات العربيّة من خلال

خمس ظواهر هي:

التقريب، والتوحيد، والنقص، والزيادة، والنقل.

### 1) التقريب بين الأصوات:

يمكننا ملاحظة التقريب بين الأصوات المتنافرة بشكل خاص، "فكثيراً ما تتوضّع في اللفظ الواحد أصواتٌ بينها تنافر صوتي، يثقل على جهاز التّصويت تداوله بدقة ووفاء، فيتناوله بضروبٍ من التعديل والتبديل، ليقربّ بعضه من بعض، ويقيم بينهما قناة مشتركة تيسّر الجريان الصوتي" (297).

وتمثّل التقريب أو التجنيس (298) في الأنماط التالية:

### أ – المُشاكلة:

"نريد بالمُشاكلة أن يصير الحرفان المتنافران، وهما متماسان أو متجاوران، متوافقين في التصويت، بتقريب أحدهما من الآخر في إحدى الصفات الغالبة" (299).

وذلك من مثل قولهم:

— "عند التصريح تريح" (300).

— "ليس في التصنّع تمتّع ولا مع التكلّف تظرف" (301).

فإذا ما حاولنا هنا نطق التاءات في الكلمات "التصريح، التصنع، تظرف" نلاحظ انحرافاً في مخرجها لتقترب من الطاء في الإطباق أو الاستعلاء، وتشاكل الأحرف التي بعدها" (302).

ومن المُشاكلة قولهم: "كمستبضع التمر إلى هجر" (303).

---

(297) الاقتصاد اللغوي في صياغة المفردة، د. فخر الدين قباوة، ص 159.

(298) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، أبو عمرو بن العلاء، د. عبد الصبور شاهين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط1، 1987، ص 243.

(299) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 159.

(300) مجمع الأمثال، الميداني، 657/1، وفسره: أي إذا صرّح الحق استرحت ولم يبقَ في نفسك شيء، وأراح معناه استراح.

(301) مجمع الأمثال، الميداني، 270/2.

(302) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 160.

(303) المستقصى، الزمخشري، 233/2، وفسره: كانت معدن التمر قبل العراقيين.



— "سقياً ورعياً"<sup>(304)</sup>.

— "أفرط فأسقط"<sup>(305)</sup>.

فهنا نلاحظ في الكلمات التي جاء فيها حرف السين "كمستبضع، سقياً، أسقط" قد انحرف النطق بها إلى "كمصتبضع، صقياً، أصقط".

"كما جاء في لغة بلعبر بتقريب ما بين الحرف الأول أي السين المنسقلة والأحرف المستعلية بعده، إذا تقوم الصاد بذلك، فهي أخت السين في الرخاوة والهمس لما فيها من الاستعلاء، وهو القاسم المشترك بينها وبين تلك الأحرف"<sup>(306)</sup>.

"وكان الأعراب الأكثر الأجود في كلامهم ترك السين على حالها، وإنما يقولها من العرب بنو العنبر، وقالوا صاطع في ساطع، لأنها في التصعد مثل القاف، وهي أولى من القاف، لقرب المخرجين والإطباق"<sup>(307)</sup>.

## ب — المجانسة:

وهي أن "يصير الصوتان المتماسان أو المتقاربان متناسبين، من جنس واحد، أي مشتركين في المخرج، مختلفين في الصفة ويقع هذا بين حركة وحرف، أو بين حرفين، إذ يكون تفاعل بينهما لينتقل أحدهما إلى مخرج الآخر"<sup>(308)</sup>.

ومن ذلك قولهم:

— "ذياب في ثياب"<sup>(309)</sup>.

— "هو يشوب ويروب"<sup>(310)</sup>.

---

(304) كنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ، لأبي يوسف يعقوب بن اسحق السكيت، هذبه: أبو بكر زكريا يحيى بن علي الخطيب التبريزي، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للأستانة المقدسة ط3، "د.ت"، ص 585، وفسره: أي سقاك الله ورعاك أي حفظك.

(305) جمهرة الأمثال، العسكري، 24/1.

(306) الاقتصاد اللغوي، د.فخر الدين قباوة، ص 160.

(307) الكتاب، سيبويه، 480/4.

(308) الاقتصاد اللغوي، د.فخر الدين قباوة، ص 160، وأثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د.عبد الصبور شاهين، ص 243.

(309) زهر الأكم، اليوسي، 7/3، فسر سابقاً.

(310) مجمع الأمثال الميداني، 472/2، فسر سابقاً.

فهنا نلاحظ إبدال الهمزة ياءً في الأول بعد الذال المكسورة، والهمزة واواً في الثاني بعد الراء المضمومة، فقد أصبح الحرفان مشتركين في المخرج كما هو واضح<sup>(311)</sup>.

وكذلك من المجانسة قولهم: "لا ينبت البقلة إلا الحقلة"<sup>(312)</sup>.

"من كلا جنبيك لا لبيك"<sup>(313)</sup>.

فهنا نلاحظ المجانسة بين حرفين صامتين، فإذا أردت نطق "ينبت" "جنبيك"، تحسّس أن النون قد انحرفت عن مخرجها، ودخلت حيز الميم، ذلك لأن النون الساكنة لها غنة في الخياشم تنافر الباء، والميم أخت الباء في المخرج وأخت النون في الغنة فتحلّ محلّ النون لمجانسة الباء مع الاحتفاظ باستطالة الغنة<sup>(314)</sup>.

ومن المجانسة قولهم: "شقيّ لقي"<sup>(315)</sup>.

فالياء في "لقي" انقلبت عن واو، لتجانس ما قبلها من كسرٍ وفي ذلك يقول قائل المثل: "اللقي مفعول من اللقوة يقال لقي فلان فهو ملقوّ، ثم نقلوا مفعولاً إلى فعيل كما قالوا مقتول ومجروح ثم نقل إلى فعيل ف قيل ف قيل فكأن أصل لقي لقيوّ فلما اجتمعت الياء والواو وسبقت إحداهما صاحبتهما بسكون صيروا الواو ياءً وأدغموها في الياء التي بعدها كما قالوا: لوتيه ليّاً وكوتيه كيّاً والأصل لويّاً وكويّاً"<sup>(316)</sup>.

## ج – الممازجة:

وهي أن "يؤدي التفاعل بين الصوتين إلى تبدل في أحدهما، ليصير من جنس الآخر، فيمتزج الأول بالثاني، مكونين صوتاً واحداً"<sup>(317)</sup>.

ومن ذلك قولهم: "إنه لرابط الجاش على الأغباش"<sup>(318)</sup>.

---

(311) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، 601 بتصرف.

(312) مجمع الأمثال، الميداني، 233/2 وفسره: يقال الحقلة القراح أي لا يلد الوالد إلا مثله وقال الأزهري: يضرب للكلمة الخسيصة تخرج من الرجل الخسيس.

(313) المصدر نفسه، 232/2 وفسره بقوله: ويروى جانبك وهما سواء يضرب للمخذول.

(314) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 161 بتصرف، وكذلك انظر: الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، ص 187.

(315) الأمثال لأبي عكرمة الضبيّ، تحقيق رمضان عبد التواب، مطبوعات مجمع اللغة العربيّة بدمشق "د. طودت" ص 101.

(316) الأمثال لأبي عكرمة الضبيّ، ص 101.

(317) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 162.

(318) مجمع الأمثال، الميداني، 73/1 فسر سابقاً.

فالهمزة هنا في كلمة "الجأش" تحولت إلى صوت من جنس الحركة التي قبلها وهي الفتحة، لتمييز به ويتكون منهما حرف مد "جاش" هو الألف وفي ذلك تخلص من الصوت الانفجاري "الهمزة" وتسهيل في النطق<sup>(319)</sup>.

ومن الممازجة قولهم: "آخر الداء العياء الكي"<sup>(320)</sup>.

فالألف هنا في "آخر" أصلها همزة، فانقادت لما قبلها بأن صارت مداً من جنسه، ليمتزج بها امتزاجاً كاملاً، مشكلين مقطعاً ممدوداً أيضاً<sup>(321)</sup>.

وكذلك من الممازجة قولهم: "أيت به من حسك وبسك"<sup>(322)</sup>.

فالحرف الأول في "أيت" همزة وصل، ووقوعها قبل الهمزة من الإتيان شكلاً تعثراً في بدء النطق السريع، فحمل ما بعده على الانفعال به للاندماج<sup>(323)</sup>.

## 2) توحيد الأصوات:

قد يكون في الكلمة الواحدة تماس أو تقارب بين أصوات يثقل أدائها أو يتعذر، لما تحمله من تنافر، في هذه الحالة يتولد بالاحتكاك بين الحروف أو الحركات تبدلات اضطرارية، ليزول الثقل والتعذر ويتفق الصوتان على شكل يوحد مصيرهما<sup>(324)</sup>.

وتأتي هذه التحولات في الضروب التالية:

### أ – المماثلة في الحرف:

وتعني أن يكون تفاعل بين الحرفين المتقاربين ليصيرا من لفظ واحد، ومن ذلك قولهم: "أكثر الظنون ميون"<sup>(325)</sup>.

فهنا نلاحظ إدغام لام التعريف في "الظنون" بالطاء بعدها، لتدغم فيها ويكون ما يشبه الحرف الواحد، فيرفع اللسان بهما دفعة واحدة.

---

(319) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 163 بتصرف.

(320) المجهول، ص33، وفسره: لأنه إنما يعالج بالكي إذا لم تبقى حيلة، فإما برأ وإما مات فكان آخر الداء لذلك.

(321) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 162.

(322) كتاب الأمثال، للإمام أبي عبيدة القاسم بن سلام، حققه د. عبد المجيد قطامش، دار المأمون، ط1، 1980 ص232.

(323) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 162.

(324) المرجع نفسه، ص 166.

(325) مجمع الأمثال، الميداني، 134/2، وشرحه بقوله: المين: الكذب وجمعه ميون يضرب عند الكذب وتزييف الظن.

وفي ذلك يقول أحدهم: "ذلك أن مخرج اللام بين طرف اللسان ولثة الثنايا العليا، ومخرج الحروف الشمسية في حيز تلك اللثة وطرف اللسان أيضاً، والتنقل بين المخرجين المتداخلين يقتضي التعثر كمشية المفيد.

فلا بد من أن تتنازل اللام عن شخصيتها الصوتية، وتلجأ إلى حيز مخرج ما بعدها، لتدمج فيه ويكوناً صوتاً يمثل التوحد والإدغام والتيسير" (326).

ومن المماثلة قولهم: "أخذ البريء بالجري" (327).

وفي رواية أخرى: "أخذ البريء بالجري" (328).

"لفظ الهمزة بعد الياء المدية يقتضي جهداً عضلياً ظاهراً، للانتقال من سكون إلى نبر، ولذلك فإن العربي يستعين بمضاعفة المد، ليتيسر له تحقيق الصوت المنبور، وتجنباً لتلك المعاناة، لجأ أهل الحجاز إلى إبدال الهمزة حرفاً ليناً من جنس المد قبلها" (329).

## ب – المماثلة في الحركة:

استثقل بعض العرب أحياناً أداء الأحرف المتجاورة أو المتقاربة، بالانتقال بين حركتين مختلفتين، فلجأ بعضهم إلى المماثلة الصوتية بين الحركتين، ليجعلوا الأولى منهما بلفظ الثانية، تخفيفاً على اللسان (330).

من ذلك قولهم: "اطلب ذاك و خلاك ذم" (331). فالطاء في "اطلب" ساكنة، ولحقت به همزة الوصل، وجاء بعد الحرف الساكن حرف مضموم هو اللام، فالهمزة هنا تتحول حركتها من الكسر إلى الضم للمماثلة.

وكذلك قولهم: "جاء بالطم والرم" (332).

(326) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 166.

(327) تمثال الأمثال، لأبي المحاسن محمد بن علي العبدري الشيبني، حققه: د. أسعد ذبيان، دار المسيرة، ط1، 1982م، 148/1، وشرحه: الجريء، الشجاع، وقد لا يهزم وهو بالهمز أيضاً المقدام.

(328) المصدر نفسه، 148/1.

(329) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 167.

(330) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 168.

(331) المستقصى، الزمخشري، 224/1، وقال: أي جاوزك، ولم يلزمك وقال: أي اطلب الحاجة باذلاً جهداً في طلبها ولا عليك إذا لم تقض، يضرب في نفي الذم عن أعذر في الطلب وإن لم يظفر.

(332) مجمع الأمثال، الميداني، 223/1، وقال: الطم، البحر، وقال ابن الأنباري: الطم الماء الكثير والرم الثرى.

وقال الأزهري الطم بالفتح وهو البحر "وإنما كُسرت الطاء في هذا المثل لمجاورة اللام"<sup>(333)</sup>.

### ج – المناظرة:

وهي التصرف في الصيغ لغير سبب صوتي ظاهر في البنية، لتصير الكلمات نظيرة ما تشاركه في المبنى أو المعنى لمقاصد شكلية فنية، وفي هذا تيسير للفظ من ناحية، وتهيئة لإدراك الدلالات المقصودة<sup>(334)</sup>.

ومن ذلك قولهم: "من حب طب"<sup>(335)</sup>.

فهنا حب أصلها أحب بالهمز فالقائل تخلص من الهمزة في أحب لينظر طب في الوزن والحروف.

وقولهم: "لقيته أول صوك وبوك"<sup>(336)</sup>.

فالقائل هنا صير الصيك صوكاً للازدواج، والصوك يدل على السكون والبوك على الحركة<sup>(337)</sup>.

وقولهم: "تركتم في حيص بيص"<sup>(338)</sup>.

يقول القائل: "وحيص من بنات الياء وبيص من بنات الواو فصيرت الواو ياءً ليزدوجا"<sup>(339)</sup>. أي قلبت الواو ياء لتناظر الياء في "بيص".

---

(333) مجمع الأمثال، الميداني، 223/1.

(334) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 170، بتصريف.

(335) مجمع الأمثال، الميداني، 335/2، وفسره: من أحب فطن واحتال لمن يحب، والطب: الحنق.

(336) المصدر نفسه، 209/2 وقال: أي أول شيء، باك الحمار الأتان يبوکها بوكاً إذا نزل عليها وراك الطيب يصيك به صيكا إذا لصق.

(337) المصدر نفسه، 209/2.

(338) المصدر نفسه، 175/1، وقال: الحيص: الفرار، والبوص: الفوت.

(339) المصدر نفسه، 175/1.

### (3) نقص الأصوات:

أي تناول الأصوات بالحذف والاستبعاد وذلك نراه في الأنماط التالية:

#### أ - البتر:

هناك أصوات عسيرة النطق، ومنتدرة الأداء، أو ثقيلة فأزيلت أو حذفت من ذلك قولهم: "أغنى عنه من الثقة عن الرقة"<sup>(340)</sup>.

فالأصل هنا في تفة تفة و في رفة رفة وجمعها رفات وتفات<sup>(341)</sup>، فحذفت الهاء لالتقاءها بمثلها في الوقف.

ومنه قولهم: "أتق خيرها بشرها وشرها بخيرها"<sup>(342)</sup>، فهنا حذفت التاء الأولى من كلمة أتق لتخفيف التصويت وتحقيق الاقتصاد العلاجي<sup>(343)</sup>.

وكذلك قولهم: "هينٌ لينٌ وأودت العين"<sup>(344)</sup>. فكلمة هينٌ أصلها هينٌ والنطق بها هكذا ثقيل جداً، لذلك تخلص عن صوتين دفعة واحدة هما الحرف الصامت الياء وحركته<sup>(345)</sup>.

وكذلك قولهم: "صلمةٌ بنُ قلمعة"<sup>(346)</sup>.

وكذلك قولهم: "سعيه في خياب بن هيّاب"<sup>(347)</sup>.

---

(340) مجمع الأمثال، الميداني، 16/2، وفسره بقوله: الثقة هي السبع الذي يسمى عناق الأرض والرفّة التبن، ويقال دقاق التبن.

(341) المصدر نفسه، 16/2.

(342) المصدر نفسه، 183/1.

(343) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 176.

(344) أمثال العرب، المفضل الضبي، 172، قالته امرأة عندما دهنت طرف نسعتها واسودت، وعندما سألتها النساء عن الدهن قالت المثل.

(345) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 177.

(346) مجمع الأمثال، الميداني، ص 562/1. وفسره بقوله: قال ابن الأعرابي: هذا مثل قولهم طامر بن طامر، إذا كان لا يدري من هو ولا يعرف أبوه وهو من طمر إذا وثب، يضرب لمن يظهر ويثب على الناس من غير أن يكون له قديم.

(347) الإتياع والمزاوجة، ابن فارس، ص 46 وفسره: أي في خسار، هيّاب من هاب الشيء يهابه إذا خافه أو قرّره أو عظمه ومنه الهيّاب: الكثير الخوف.

وقولهم: " غاطُ بن باطٍ" (348).

فأسماء الأعلام هنا جاء بعدها وصفٌ يعيّن اسم الآباء، فهنا حذف التتوين من الكلمات "صلمة، خياب، غاط" لمجيء ابن بعدهما منعاً لالتقاء الساكنين فالمتكلم هنا بين تحريك الساكن الأول بالكسر، وهو ثقل في اللفظ لزيادة مقطع في طرف الاسم، وبين إزالته أصلاً من السبيل، لوصل الصفة بالموصوف وقد اختار الوجه الثاني لأنه أيسر على اللسان وأقصد (349).

وكذلك قولهم: "ما يلقي الشجيّ من الخليّ" (350).

فالقائل هنا يقف على الكلمات التي في آخرها إدغام "الشجيّ" - الخليّ " بحذف الحرف الأخير منهما لإزالة الثقل وتكوين مقطع أيسر من السابق (351) وبذلك يصبح النطق "الشجيّ - الخليّ".

ومثله قولهم: "من قلّ ذلّ ومن أمر قلّ" (352).

فهنا كذلك يلجأ القائل إلى حذف الحرف الأخير لإزالة الثقل وتكوين مقطع أيسر فيصبح "قلّ، ذلّ، قلّ" في الوقف.

يقول أحد الباحثين:

"لا يجوز عدّ ما يرد في الكلام العفوي الارتجالي من تراكيب مختزلة خطأً نحوياً والنظر إليها من منظور المعيار اللغوي، إنما ينبغي الانطلاق من معيار الاقتصاد في اللغة ثم الحكم عليها من منظور الرغبة في التعبير عن الأفكار بأيسر السبل وأقربها إلى لغتهم" (353).

---

(348) مجمع الأمثال، الميداني، 12/2 وفسره: يقال غاط في الشيء يغوط ويغيظ إذا دخل فيه ويقال هذا رجل تغوط فيه الأقدام أي تغوص، وباط مثل فاض من بطا يبطو إذا اتسع، يضرب للمخلّط في حديثه إذا أرادوا تكذيبه.

(349) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 177 بتصرف.

(350) مجمع الأمثال، الميداني، 296/2، وفسره: من شجاه يشجوه إذا أحزنه، ويجوز أن يقول شدّد للزدواج ومعناه أي شيء الذي يلقاه الشجي من الخلي من ترك الاهتمام بشأنه لخلوه مما هو مبتلى به.

(351) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 178 بتصرف.

(352) مجمع الأمثال، الميداني، 345/2، وفسره: قال أوس بن حارثة أمر أي كثر يعني من قلّ أنصاره غلب و من كثر أقرباؤه ملّ أعداؤه.

(353) نحو نظرية أسلوبية لسانية، فيلي سانديرس، ص 83.

## ب – الإضعاف:

والمراد به "توهين شدة الصوت وتخفيضها، ليتيسر للفظ أدائه مع احتفاظ المعنى بدلالته، فكثيراً ما يكره حذف الصوت، لما يحمله من دلالات لغوية أو صرفية، أو إعرابية، ويكون في تحقيقه شيء من الثقل أو العسر، فيتناوله اللسان العربي بالصَّقل والترقيق، حفاظاً على حقوق الشكل والمضمون" (354).

ومن ذلك قولهم: "يضرب الماش بالدرماش" (355).

فكلمة الدرماش أصلها "الدرماش" ونطقها على هذا النحو ثقيل جداً على اللسان والأذن، وهنا يقبح بالعربي أن يُسقط أحد المثلين، فيكون التوسط بين التصريح والبتز، بتوهين الحرف الأول ووصله بالثاني، ليكونا كالحرف الواحد المديد فيصبح الدرماش (356).

ومن الإضعاف ترقيق الحرف في مثل قولهم: "عاشرينا وأخبرينا" (357).

فالراء هنا جاءت مرققة لأنه وليها صائت الكسر الطويل أو حرف المد كما يعرفه أجدادنا. ومن الإضعاف إمالة الألف لدى الحجازيين، لأنها توهينٌ لانفراج الفم في التصويت، وانحرافٌ به ليكون بين الألف والياء، وإنما يقع ذلك إذا كان قبل الألف أو بعدها كسرة أو ياء أو إمالة (358).

ومن ذلك قولهم: "إلى أن يجي الترياق من العراق مات الملسوع" (359) فهنا جاءت الألف مسبوقة بياء في "الترياق" فأميلت الياء لتناسب الألف "الترياق". وكذلك قولهم: "ذهبوا عساريات وعشاريات" (360).

هنا أيضاً جاءت الألف وقد سبقت بياء فلحقت بها الإمالة لتناسب الألف:

---

(354) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 183.

(355) مجمع الأمثال، الميداني، 512/2، وفسره: يضرب لمن يخلط في القول أو الفعل.

(356) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 183.

(357) المستقصى، الزمخشري، 156/2 وفسره: كان رجلان يتعشقان امرأة وأحدهما جميل والآخر دميم، فكان جميل يقول: عاشرينا وانظري إلينا، ويقول الدميم: عاشرينا وأخبرينا، فأنتهما متتكررة وقد نحرا جزورين فوجدت جميل يلمس الدسم ويأكل الشحم فاستطعمته فأعطاها وأما الدميم فكان يعطي كل سائل فسألته فأعطاها الأطائب، وقدمت إلى كل واحد، فغضب جميل، وأقصته ورغبت في الدميم.

(358) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 186، بتصرف.

(359) مجمع الأمثال، الميداني، 121/1 لم يذكر حول معناه شيء، وبالعودة إلى لسان العرب وجدنا مادة ترق 32/10 فارسي معرّب هو دواء السموم لغة في الدرياق والعرب تسمي الخمر ترياقاً وترياقاً لأنها تذهب بالهم.

(360) كنز الحفاظ، أبو يوسف السكيت، ص 57 وفسره أي متفرقين.



"عساريات، عشاريات".

"وإنما لجأت تلك القبائل إلى الإمالة لأن الانتقال بين تلك الأصوات والألف فيه شدة كمن يتصعد في زاوية حادة من طرف أحد أضلاعها إلى الرأس، ثم يهبط إلى طرف الضلع الآخر، كل هذا بخطوتين متصلتين ولتخفيف هذه المشقة في إخراج الكلام، ينعطف التصويت بإمالة بين الألف والياء، فيصير كالسير في خطٍ منحنيٍّ محدّب لطيف، بدلاً من التقلّب العنيف" (361).

وكذلك من الإضعاف الروم: "وهو الإشارة إلى الحركة مع صوت خفي في المرفوع والمضموم، والمجرور والمكسور، دون المنصوب والمفتوح" (362).

ومن ذلك قولهم: "ذهب أهل الدثر بالأجر" (363).

فقد يجد القائل حرجاً في التسكين للحرف الأخير "الأجر" فيروم ثلث الكسرة تنبيهاً على ذلك، ويسقط باقي صوتها، لئلا يعيب شيء من المراد (364).

ومن الإضعاف أيضاً الإشمام "وهو الإشارة إلى الحركة من غير تصويت، ويختص بالمرفوع والمضموم دون غيرهما" (365).

ومن ذلك قولهم: "الخلاء بلاء" (366).

فهنا قد يذهب القائل بصوت الضمة كله، ويشير إلى ذلك بضم الشفتين.

---

(361) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 186.

(362) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، ص 117.

(363) مجمع الأمثال، الميداني، 389/1 وفسره: الدثر كثرة المال، يقال: ماله دثر ومالان دثر، وأموال دثر أي كثير.

(364) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 189 بتصرف.

(365) أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي، د. عبد الصبور شاهين، ص 117.

(366) جمهرة الأمثال، العسكري، 358/1 وفسره: المثل للقمان بن عاد قاله عندما خرج يطوف ووجد امرأة جالسة مع رجل تحدثه فوقف لقمان فحيا فلم يردا عليه، ثم سلم الثانية فردا ولم يجدا حولهما أحد. فقال المثل.

#### 4) زيادة الأصوات:

ونقصد به زيادة أو إضافة بعض الأصوات على الأصل لتأمين الجهد الأدنى للفظ وذلك عبر الأنماط التالية:

##### أ - الفصل:

"وهو إقحام صوت أو أكثر بين المتنافرين أو المتماثلين أو المتجانسين لإزالة ثقل الأداء اللفظي، فيما هو كلمة واحدة أو كالكلمة"<sup>(367)</sup>.

ومن ذلك قولهم: "لا تعطيني وتعظني"<sup>(368)</sup>.

فهنا نلاحظ إقحام نون الوقاية في "تعطيني" قبل ياء المتكلم، والياء حرف مد يقتضي أن يكون قبله حركة من جنسه، ولأن الفعل يأنف لزوم الكسر، وياء المد لا تقبل غير ذلك، جعلت هذه النون بينهما، تزيل التنافر والاستعصاء، وتؤمن التصويت الحقيقي للطرفين، والجهد الأدنى للأداء<sup>(369)</sup>.

##### ب - التخلص:

نريد به "التصرف في أحد الساكنين المتماسين من الصيغة، لإزالة تعذر اللفظ أو ثقله"<sup>(370)</sup>. ومن ذلك قولهم: "جاء به من حيث أيسر وليس"<sup>(371)</sup>.

فهنا نرى أن الظرف حيث توالى فيه ساكنان الياء والثاء فتدخل الصائت لإزالة التعذر، والغاية التيسير فقد كان هذا الظرف ساكن الآخر لجموده وبعده عن التمكن فاضطر العربي إلى إلحاق الحركة المناسبة له للتخلص من العقبات، وجعل الكلمة قريبة التناول والاستخدام<sup>(372)</sup>.

ومن ذلك قولهم: "لم يُفْت من لم يُمْت"<sup>(373)</sup>.

فالأصل هنا في يفت يفوت وفي يمت يموت. ولكن القائل وجد ثقلاً في وصل الكلام فحذف حرف المد ليسهل الأداء المقطعي ويتحقق أقل جهد علاجي<sup>(374)</sup>.

---

(367) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 192.

(368) مجمع الأمثال، الميداني، 214/2، وفسره بقوله: أي لا توصيني وأوصي نفسك.

(369) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 194 بتصرف.

(370) المرجع نفسه، ص 196.

(371) المستقصى، الزمخشري، 36/2.

(372) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 196 بتصرف.

(373) مجمع الأمثال، الميداني، 270/2، وفسره: من مات فهو الفائت حقيقة.

(374) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 199 بتصرف.

ومن ذلك قولهم: "لا تكذبن ولا تشبهين"<sup>(375)</sup>.

فهنا الفعل لا تكذب أكد بنون التوكيد الثقيلة، فالتقى ساكنان، وهما حرفان صامتان، فحُرك الأول بالفتح بناءً ففعل لا تكذبين<sup>(376)</sup>.

وكذلك قولهم: "لا دريت ولا انتليت"<sup>(377)</sup>.

فالفعل دريت أصله درى ساكنة الآخر وعندما اتصلت بها تاء التأنيث الساكنة حذفت الألف المقصورة للتخفيف<sup>(378)</sup>.

### ج – التمكين:

للعربية الابتداء بمتحرك، والوقوف على ساكن، فإذا اعترض ذلك مقطع يخالف صياغة المفردات، وتعذر على الأداء الكلامي، فإنه يقم حرفاً في أول الكلمة أو آخرها، لتأمين تحقق الأصوات بالابتداء أو الوقف وتيسير الاقتصاد اللغوي<sup>(379)</sup>.

ومن ذلك قولهم: "اطرح وافرح طفيلي ومقترح"<sup>(380)</sup>.

فالفعل اطرح جاء بصيغة الأمر وعندما حذف حرف المضارعة تصدر الحرف الساكن، فاستعانت العربية بهمزة وصل تقدم هذا المقطع المبثور، وتحمل الحركة المناسبة، للتمكين من اللفظ<sup>(381)</sup>.

ومن التمكين قولهم: "سواء علينا قاتلاه وسالباه"<sup>(382)</sup>.

فهنا جاءت الهاء بعد الألف الساكنة، حيث يستحيل الوقف التام عليها، فتدخل هاء السكت لتهدون الأداء، ذلك لأن جريان الصوت منطلق بأداء الحرف الأخير متحركاً، فإذا فاجأه السكون المجرد للوقف قطع عليه ذلك الانطلاق وحبسه عن بلوغ مداه، وهنا تتدخل الهاء لتتحمل السكون اللازم وتكون وسطاً عازلاً، يحول بين تناقض الحالتين<sup>(383)</sup>.

---

(375) مجمع الأمثال، الميداني، 245/2، وفسره: من التشبه أي لا تكذب على غيرك ولا تشبه بالكذب.

(376) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 199.

(377) الوسيط في الأمثال، لأبي الحسن علي بن أحمد محمد الواحدي، تحقيق: د. عفيف محمد بن عبد الرحمن، مؤسسة الرسالة، دار الكتب الثقافية "د. ط" 1975 ص 186 وفسره: لم تعلم و لم تقصر في الطلب لأن انتلنت من ألوت إذا قصرت.

(378) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 199.

(379) المرجع نفسه، ص 200 بتصرف.

(380) مجمع الأمثال، الميداني، 613/1.

(381) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 201.

(382) المجهول ص 68 وفسره: أي إذا رأيت رجلين قتل أحدهما رجلاً، وسلبه الآخر، فهما سواء فيه.

(383) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 204.

## 5) نقل الأصوات:

وهو لتيسير الأداء في بعض الأصوات وإزالة العراقيل المترتبة عن توضعها. وذلك من خلال التنقل والتحول عبر الأساليب التالية:

### أ - المخالفة:

وهي أن تعترض الأصوات المتجاورة صعوبات في التأدية الكلامية، تقتضي تصرفات تجميلية، تزيل الاستتقال<sup>(384)</sup>.

ومن ذلك قولهم: "إني لآتيه بالعشايا والغدايا"<sup>(385)</sup>.

"فأصل عشايا هنا عشاو بواو هي لامها، وتلك الواو بعد همزة منقلبة عن الياء الزائدة في عشية كما في صحيفة وصحائف، ثم قلبوا الكسرة فتحة للتخفيف، كما فعلوا في صحارى وغازى، إلا أنهم التزموا التخفيف الجمع الذي أعلت لامه وقبلها همزة، لأنه أثقل، ثم انقلبت اللام ألفاً لتحركها، وانفتاح ما قبلها، ثم أبدلت الهمزة تخفيفاً لاجتماع الأشباه"<sup>(386)</sup>.

فجمع التكسير هنا عندما تطرفت فيه ألفان، وبينهما همزة مفتوحة، "غداى" صُيرت الهمزة ياءً "غدايا" لإزالة بؤرة التوتر اللفظي ولأنه يعسر لفظ الأصوات المتقاربة مع ثقل الجمع<sup>(387)</sup>.

### ب - الانزياح:

وهو أن "ينزلق الصُويت، وينتقل إلى موقع مجاور له مُساهمًا في تخفيف صيغة اللفظ، وتحقيق الاقتصاد العلاجي للسان"<sup>(388)</sup>.

ومن الانزياح قولهم: "هو يشوب ويروب"<sup>(389)</sup>.

فيروب هنا أصلها "يرؤب" بالهمز فحذف القائل الهمزة المتحركة، بتقديم ساكن قبلها يحتمل التحرك، واقتضى ذلك انزلاق حركتها بمكانها، لتصير للساكن المتقدم و ذلك تخلص من شدة الهمزة الانفجارية العسيرة النطق<sup>(390)</sup>.

---

(384) المرجع نفسه ، ص 204 بتصرف.

(385) الأمثال، أبو عكرمة الضبي، ص 28.

(386) درة الغواص في أوهام أهل الخواص، الحريري، ص 80.

(387) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 209 بتصرف.

(388) المرجع نفسه، ص 211.

(389) مجمع الأمثال، الميداني، 472/2.

(390) الاقتصاد اللغوي، د. فخر الدين قباوة، ص 213.

## وفيما يلي تلخّص أهم النتائج التي خلصنا إليها بعد عرضنا هذا:

- 1 — من أبرز مظاهر الاقتصاد اللغوي محاولة التخلّص من الهمز لأنه صوت عسير النطق.
- 2 — من مظاهر الاقتصاد اللغوي اللجوء إلى القلب المكاني وذلك بتقديم بعض حروف الكلمات على بعض لصعوبة تتابعها الأصلي على الذوق اللغوي.
- 3 — من مظاهر الاقتصاد اللغوي والسهولة تكرار حروف بعينها في كلمات معيّنة، وأكّدنا أنّ هناك ارتباطاً بين سهولة النطق وتكرار هذه الحروف، الذي يعزى إلى مبدأ الجهد الأقل.
- 4 — كان لاشتراك بعض الحروف في الصفات وتنوع توزيعها فيما بينها دور في الاقتصاد اللغوي، فالازدواج والتضاد بين هذه الحروف ولّد تنوعاً تنغيماً أبعداً عن النقل.
- 5 — كان لتوزيع الأصوات العربيّة على مدارج واسعة المدى أثر واضح في التيسير النطقي.
- 6 — كان لإبدال بعض الحروف بحروف أخرى دور في الاقتصاد اللغوي، وقد وقع هذا الإبدال إمّا سعياً وراء السهولة والتيسر في النطق من ناحية المخرج، أو بسبب كثرة الاستعمال وورود الأمثال على الألسنة بكثرة، وإما لاختلاف اللهجات بين القبائل.
- 7 — كان الحذف مظهراً من مظاهر الاقتصاد اللغوي إلى جانب محاولة التخلّص من التفريعات الكثيرة للظاهرة الواحدة كما رأينا في علامات تأنيث.
- 8 — من مظاهر الاقتصاد اللغوي أيضاً تكرار مقاطع صوتية معنية تمتاز بالخفة والسهولة في لغة الأمثال المدروسة وهما المقطع الطويل المفتوح "ص ح ح" والمقطع الطويل المغلق "ص ح ص".
- 9 — ومن مظاهر الاقتصاد اللغوي كذلك شيوع ملحوظ للنبر والتنغيم في الأمثال المدروسة، فالتنغيم بما يولّده من نبضات في الكلام مختلفة القوة والضعف بحسب النبر، يُيسّر على جهاز النطق التنقل بين موجات صوتية متعددة ومختلفة بعيدة عن الرتابة والملل، فضلاً عن دوره في الإغناء عن تكرار الكلمات ذات المعنى المراد.
- 10 — ومن مظاهر الاقتصاد اللغوي الاستخفاف في بعض الأصوات، من خلال خمس ظواهر هي: التقريب، والتوحيد، والنقص، والزيادة، والنقل.